غلوّ الإثبات

عثمان بن سعيد الدّارمي نموذجا

دكتور
محمود محمد حسين علي
الأستاذ المساعد بقسم العقيدة والفلسفة
كلية أصول الدين القاهرة _ جامعة الأزهر

مقدمة

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ،وبعد

أَبْدَأُ مَا أُرِيدُ مِنْ بَيَانِ الْعِبْرَةِ فِي هَذَا الْكَلَامِ بِاسْتِغْفَارِ اللهِ تَعَالَى مِنْ نَقْلِهِ وَلَوْ مَعَ حُسْنِ النِّيَّةِ ، لِمَا فِيهِ مِنْ سُوءِ التَّعْبِيرِ وَالْبُعْدِ عَنِ الْأَدَبِ مَعَ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ، وَبِالِاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ تَعَالَى مِنْ عَصَبِيَّةِ الْمَذَاهِبِ الَّتِي تُوقِعُ صَاحِبَهَا فِي مِثْلِ هَذَا وَفِيمَا هُوَ شَرٌّ مِنْهُ ، ثُمَّ أُفَصِّلُ مَا قَصَدْتُ بَيَانَهُ فأقول :

ما من قضية من قضايا الدين وأصوله إلا وتجد الناس يذهبون فيها إلى ثلاثة فرق ومذاهب، فريق يجنح إلى الإفراط والغلو والتشدد ، وفريق آخر مقابل له يجنح إلى الجفاء والتفريط .. وبينهما فريق وسط؛ لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .. لا إلى الإفراط والغلو يجنح ولا إلى التفريط والجفاء يجنح .. وإنما يلتزم الوسطية المتمثلة في التزام المشروع المنصوص عليه من غير زيادة ولا نقصان .. ومن غير غلو ولا جفاء، وهم الجماعة الذين يكونون على ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام رضوان الله عليهم .

وفي زماننا تشابهت صيحات الناس بمن تقدم ذكرهم من الناس من قبل .. فتنادوا مصبحين وممسين .. وفي السر والعلن .. وفي كل وادٍ وناد أن لا تقبلوا الحق إلا من الشيخ فلان وفلان .. وفلان .. فالقول قولهم والدين دينهم .. ولا دين غير دينهم .. فالحق ما قالوا، وكل قول يخالف قولهم فهو باطل ومحدث ومردود ولو كان منصوصاً عليه في الكتاب أو السنة .. لا تقبلوا الحق إلا إذا جاء من طريق الشيخ فلان .. ولو جاء الحق من غير طريقه وقوله فهو مردود وخروج عن الطاعة والإجماع أو على الأقل لا تُرفع له رأس ولا اعتبار ولا بال كما لو جاء عن طريق الشيخ .. من والى الشيخ واليناه مهما كان منه من عمل .. ومن جافاه وعاداه أو نقده بقول أو فهم عاديناه وجافيناه، واستعدينا عليه الناس مهما كان منه من عمل ..؟!!

من هؤلاء الشيوخ والعلماء الذين اختلف عليهم الناس، وذهبوا فيهم المذاهب: عثمان بن سعيد الدارمي رحمه الله.

فبعض الناس قد جعلوا كلامه هو المعيار والمقياس للسلفية، ولمعرفة من هو سلفي ومن هو غير سلفي .. فكل قول قال به الشيخ أو وافق عليه فهو سلفي ومن السلفية، وإن لم يكن عليه هدي السلف الأول .. وكل قول لم يقل به الشيخ أو لم يوافق عليه فهو ليس سلفي ولا من السلفية في شيء .. وإن كان يقول به السلف الأول رضي الله عنهم أجمعين.

يقول عنه ابن القيم : " وكتاباه (١) من أجل الكتب المصنفة في السنة وأنفعها . وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون ، والأئمة أن يقرأ كتابيه ، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية ، ويعظمهما جدا لما فيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما "(٢)

ويقول عنه ابن تيمية إنه من أئمة أهل السنة : "وقد جمع طوائف من العلماء الأحاديث والآثار المروية في أبواب [عقائد أهل السنة] مثل: حماد بن سلمة، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، وعثمان بن سعيد الدارمي،وغيرهم في طبقتهم. ومثلها ما بوب عليه البخاري، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه وغيرهم في كتبهم." (٣)

---

١ – يقصد : كتاب الرد على المريسي ، وكتاب الرد على الجهمية .

٢ – اجتماع الجيوش الإسلامية : ابن القيم حققه : بشير محمد عون طبعة مكتبة دار البيان الثالثة ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م صـ ١٧٤

٣ – مجموعة فتاوى ابن تيمية : المجلد الثالث ٣٧٩ دراسة وتحقيق / عبد الرحمن بن محمد بن قاسم طبعة مجمع الملك فهد ١٤١٦هـ ١٩٩٥م.

ويقول : "وأئمة السّنة – كَعبد الله بن الْمُبَارك وَأحمد بن حَنْبَل وَالْبُخَارِيّ وَعُثْمَان بن سعيد الدَّارمِيّ " (١)

ويقول عنه الشيخ / حامد الفقي في مقدمته لكتاب الرد على الجهمية :" وأثنى على كتابه هذا كثير من أئمة السلف ، وقرّظوه بعبارات فخمة ، وهو في الواقع كما قالوا "(٢)

لكن هل هذه التقريظات جاءت في مكانها ؟ وهل كتب الشيخ كما قالوا عنها ؟

هذا البحث يجيب عن هذا السؤال ، لكنني أبدأ ببعض النقول ، وهي لبعض من ينتمي إلى نفس الفريق الذي يغالي في مدح الرجل .

يقول عنه الحافظ الذهبي ـ رحمه الله ـ : " وفي كتابه بحوث عجيبة مع المريسي يبالغ فيها في الإثبات، والسكوت عنها أشبه بمذهب السلف في القديم والحديث"(٣)

ويقول عنه الألباني : " لا شك في حفظ الدارمي وإمامته في السنة، ولكن يبدو من كتابه (الرد على المريسي) أنه مغال في الإثبات، فقد ذكر فيه ما عزاه الكوثري إليه من القعود والحركة والثقل ونحوه!! وذلك مما لم يرد به حديث صحيح، وصفاته تعالى توقيفية فلا تثبت له صفة بطريق اللزوم مثلا كأن يقال :يلزم

---

١ – جامع الرسائل : ابن تيمية ـ تحقيق : د. محمد رشاد سالم طبعة دار العطاء – الرياض الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م جـ ٢ صـ ٤

٢ – الرد على المريسي : الدارمي ـ تحقيق : محمد حامد الفقي صـ ك من المقدمة ـ طبعة دار الكتب العلمية بيروت

٣ – العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها : شمس الدين الذهبي ـ طبعة مكتبة أضواء السلف الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م صـ ١٥٥

المبحث الأول

تعريف موجز بالدارمي :

هو " عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد : الإمام ، العلامة ، الحافظ، الناقد، شيخ تلك الديار، أبو سعيد ، التميمي ، الدارمي ، السجستاني ، ولد قبل المائتين بيسير ، وطوف الأقاليم في طلب الحديث"([1])

والدارمي بفتح الدال المهملة وكسر الراء ينسب إلى دارم بن مالك بطن كبير من تميم ينسب إليه خلق كثير من العلماء منهم الإمام الدارمي صاحب السنن.([2])

ويحسن هنا التنبيه إلى أمر هام، وهو أن الإمام الدارمي صاحب السنن غير الدارمي الذي نحن بصدد الحديث عنه وعن كتابيه، فصاحب السنن هو الإمام عبدالله بن عبدالرحمن بن بهرام السمرقندي الدارمي الحافظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ([3])، وأما صاحبنا فستأتي ترجمته، فليتنبه إلى هذا.

---

١ – سير أعلام النبلاء : الإمام الذهبي _ جـ ١٣ صـ ٣١٩ تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وعلي أبو زيد طبعة مؤسسة الرسالة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م وانظر أيضا : الأعلام : الزركلي _ طبعة دار العلم للملايين الخامسة عشر ٢٠٠٢م جـ ٤ صـ ٢٠٥

٢ – الأنساب : السمعاني _تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي طبعة دار الجنان الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م جـ ٢ صـ ٤٤٠_ ٤٤٢ ويلاحظ أنه لم يذكر منهم : عثمان بن سعيد موضوع بحثنا .

٣ – ولد الدارمي صاحب المسند سنة ١٨١هـ وتوفي سنة ٢٥٥هـ وله كتاب المسند المعروف بسنن الدارمي ، وهو من العلماء الثقات لما وصل كتاب نعيه إلى الإمام البخاري نكس رأسه ، ثم رفع واسترجع ، وجعلت تسيل دموعه على خديه ثم أنشأ يقول :

إن تبق تفجع بالأحبة كلهم   وفناء نفسك _ لا أبا لك _ أوجع

انظر : مقدمة مسند الدارمي ا لمعروف بسنن الدارمي صـ ٤٢ تحقيق حسين سالم أسد الداراني _ الطبعة الأولى دار المغني _ الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

كان عثمان بن سعيد الدارمي إماما في الحديث، قال فيه أبي داود: "منه تعلمنا الحديث"([1]) ، وكان واسع الرحلة طواف الأقاليم في طلب الحديث ، ولقي الكبار. رحل إلى الحجاز ، والبصرة ، والكوفة ، وبغداد ، والشام، وغيرها من المدن ، وذلك للسماع من الشيوخ .

من أهم مشايخه : أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وابن الأعرابي، والبويطي ، ويحيى بن معين ، وسليمان بن حرب .

ومن أهم تلاميذه : زكريا بن أحمد بن يحيى البلخي ، ومحمد بن يوسف الهروي ، وأحمد بن محمد الأزهري السجزي ، ومحمد بن إسحاق الهروي ، ومحمد بن محمد الطوسي الفقيه .

أما وفاة عثمان بن سعيد الدارمي فقد كانت في ذي الحجة عام ثمانين ومائتين.([2])

وقد صنف عثمان بن سعيد الدارمي في العقيدة كتابا في الرد على بشر المريسي ، وكتابا في "الرد على الجهمية " ، وقد نقلنا في مقدمة هذا البحث كلام ابن تيمية وابن القيم عن كتابيه .

ونضيف هنا بعض الأمثلة : فهو يستشهد برأيه على مسألة النزول ، وخلو العرش من الله _ تعالى الله عن ذلك _ يقول : "قال أبو عبد اللّه الرّباطي: حضرت يومًا مجلس الأمير عبد اللّه بن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق بن راهويه،

---

١ _ سير أعلام النبلاء : الإمام الذهبي جـ ١٣صـ ٣٢٥

٢ – سير أعلام النبلاء : الذهبي جـ ١٣ صـ ٣٢٥ مرجع سابق .وانظر أيضا : طبقات الشافعية للأسنوي : جـ ١صـ ٥١٦، وتذكرة الحفاظ للذهبي : جـ ٢ صـ ٦٢١، ٦٢٢ ، وطبقات الشافعية للسبكي جـ ٢ صـ ٣٠٢- ٣٠٦ ، وشذرات الذهب لابن العماد جـ ٢ صـ ١٧٦ ، والبداية والنهاية : ابن كثير جـ ١١ صـ ٦٩

المبحث الأول

تعريف موجز بالدارمي :

هو " عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد : الإمام ، العلامة ، الحافظ، الناقد، شيخ تلك الديار ، أبو سعيد ، التميمي ، الدارمي ، السجستاني ، ولد قبل المائتين بيسير ، وطوف الأقاليم في طلب الحديث"(١)

والدارمي بفتح الدال المهملة وكسر الراء ينسب إلى دارم بن مالك بطن كبير من تميم ينسب إليه خلق كثير من العلماء منهم الإمام الدارمي صاحب السنن.(٢)

ويحسن هنا التنبيه إلى أمر هام، وهو أن الإمام الدارمي صاحب السنن غير الدارمي الذي نحن بصدد الحديث عنه وعن كتابيه، فصاحب السنن هو الإمام عبدالله بن عبدالرحمن بن بهرام السمرقندي الدارمي الحافظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ(٣)، وأما صاحبنا فستأتي ترجمته، فليتنبه إلى هذا.

---

١ – سير أعلام النبلاء : الإمام الذهبي _ جـ ١٣ صـ ٣١٩ تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وعلي أبو زيد طبعة مؤسسة الرسالة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م وانظر أيضا : الأعلام: الزركلي _ طبعة دار العلم للملايين الخامسة عشر ٢٠٠٢م جـ ٤ صـ ٢٠٥

٢ – الأنساب : السمعاني _تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي طبعة دار الجنان الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م جـ ٢ صـ ٤٤٠_ ٤٤٢ ويلاحظ أنه لم يذكر منهم : عثمان بن سعيد موضوع بحثنا .

٣ – ولد الدارمي صاحب المسند سنة ١٨١هـ وتوفي سنة ٢٥٥هـ وله كتاب المسند المعروف بسنن الدارمي ، وهو من العلماء الثقات لما وصل كتاب نعيه إلى الإمام البخاري نكس رأسه ، ثم رفع واسترجع ، وجعلت تسيل دموعه على خديه ثم أنشأ يقول :

إن تبق تفجع بالأحبة كلهم وفناء نفسك _ لا أبا لك _ أوجع

انظر : مقدمة مسند الدارمي ا لمعروف بسنن الدارمي صـ ٤٢ تحقيق حسين سالم أسد الداراني _ الطبعة الأولى دار المغني _ الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

كان عثمان بن سعيد الدارمي إماما في الحديث، قال فيه أبي داود: "منه تعلمنا الحديث"(١) ، وكان واسع الرحلة طواف الأقاليم في طلب الحديث ، ولقي الكبار. رحل إلى الحجاز ، والبصرة ، والكوفة ، وبغداد ، والشام، وغيرها من المدن ، وذلك للسماع من الشيوخ .

من أهم مشايخه : أحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه ، وابن الأعرابي، والبويطي ، ويحيى بن معين ، وسليمان بن حرب .

ومن أهم تلاميذه : زكريا بن أحمد بن يحيى البلخي ، ومحمد بن يوسف الهروي ، وأحمد بن محمد الأزهري السجزي ، ومحمد بن إسحاق الهروي ، ومحمد بن محمد الطوسي الفقيه .

أما وفاة عثمان بن سعيد الدارمي فقد كانت في ذي الحجة عام ثمانين ومائتين.(٢)

وقد صنف عثمان بن سعيد الدارمي في العقيدة كتابا في الرد على بشر المريسي ، وكتابا في "الرد على الجهمية " ، وقد نقلنا في مقدمة هذا البحث كلام ابن تيمية وابن القيم عن كتابيه .

ونضيف هنا بعض الأمثلة : فهو يستشهد برأيه على مسألة النزول ، وخلو العرش من الله _ تعالى الله عن ذلك _ يقول : "قال أبو عبد الله الرّباطي: حضرت يومًا مجلس الأمير عبد الله بن طاهر ذات يوم، وحضر إسحاق بن راهويه،

---

١ _ سير أعلام النبلاء : الإمام الذهبي جـ ١٣صـ ٣٢٥

٢ – سير أعلام النبلاء : الذهبي جـ ١٣ صـ ٣٢٥ مرجع سابق .وانظر أيضا : طبقات الشافعية للأسنوي : جـ ١صـ ٥١٦، وتذكرة الحفاظ للذهبي : جـ ٢ صـ ٦٢١، ٦٢٢ ، وطبقات الشافعية للسبكي جـ ٢ صـ ٣٠٢– ٣٠٦ ، وشذرات الذهب لابن العماد جـ ٢ صـ ١٧٦ ، والبداية والنهاية : ابن كثير جـ ١١ صـ ٦٩

فسئل عن حديث النزول: أصحيح هو؟ فقال: نعم، فقال له بعض قواد عبد الله: يا أبا يعقوب، أتزعم أن الله ينزل كل ليلة؟ قال: نعم، قال: كيف ينزل؟ قال: أثبته فوق، حتى أصف لك النزول، فقال له الرجل: أثبته فوق، فقال له إسحاق: قال الله تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} ([1]) فقال الأمير عبد الله بن طاهر: يا أبا يعقوب، هذا يوم القيامة ! فقال إسحاق: أعز الله الأمير، ومن يجيء يوم القيامة، من يمنعه اليوم؟!.

ثم بعد هذا، إذا نزل: هل يخلو منه العرش أو لا يخلو؟ هذه مسألة أخرى تكلم فيها أهل الإثبات.

فمنهم من قال: لا يخلو منه العرش، ونقل ذلك عن الإمام أحمد بن حنبل في رسالته إلى مُسَدَّد، وعن إسحاق بن راهويه، وحماد بن زيد، وعثمان بن سعيد الدارمي، وغيرهم".([2])

ويروي عنه رأيه في مسألة إثبات الحركة لله _ تعالى الله عما يقول _ يقول : "وقد صرح أئمة هذا القول بأنه يتحرك، كما ذكر ذلك حرب الكِرْماني عن أهل السنة والجماعة، وسمى منهم: أحمد بن حنبل، وسعيد بن منصور، وإسحاق بن إبراهيم وغيرهم. وكذلك ذكره عثمان بن سعيد الدارمي عن أهل السنة، وجعل نفي الحركة عن الله عز وجل من أقوال الجهمية التي أنكرها السلف، وقال: كل حي متحرك، وما لا يتحرك فليس بحي. وقال بعضهم: إذا قال لك الجهمي: أنا كافر برب يتحرك، فقل: أنا مؤمن برب يفعل ما يشاء."([3])

---

١ – سورة الفجر : الآية٢٢

٢ – مجموعة فتاوى ابن تيمية : المجلد الخامس صـــ ٣٧٥ مرجع سابق

٣ – مجموعة فتاوى ابن تيمية : المجلد الثامن صـــ ٢١مرجع سابق .

وينقل عنه إثبات الحد لله _ تعالى الله عما يصفون _ يقول : "وقيل له: بماذا يعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق سمواته على عرشه، بائن من خلقه، قيل له: بِحَدٍّ ؟ قال: بحد. وكذلك قال أحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم بن راهويه، وعثمان بن سعيد الدارمي، وغيرهم من أئمة السنة".([1])

وهذه مجرد أمثلة فقط فقد نقل ابن تيمية نقولا كثيرة من كتابي عثمان بن سعيد ، حتى إنه لينقل منه في مرة واحدة ما يزيد على العشرين صفحة ([2]) .

وهذا ابن القيم يقول في نونيته :

وانظر إلى ما قاله علم الهدى عثمان ذاك الدارمي الربـــاني

في نقضــه والرد ياإلهما كتا بــا سنــــــة وهما لنا علمان

هدمت قواعد فرقة جهمية فخوت سقوفهم على الحيطان([3])

ويقول ابن عثيمين : " ولذلك رد الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على بشر المريسي في نفيه الحد وقال: إنه لا معنى لنفيك، إلا أن الله لا شيء، لأنه ما من شيء يقع عليه اسم الشيء إلا وله حد وغاية وصفة، لكن الباري جل وعلا لا يعلم كيفية صفته إلا هو قال: فنحن نؤمن بالحد ونكل علمه إلى الله– تعالى"([4]).

ويقول أيضا " وصنف عثمان بن سعيد الدارمي كتابا رد به على المريسي سماه " نقض عثمان بن سعيد على الكافر العنيد فيما افترى على الله من التوحيد"

---

١ – مجموعة فتاوى ابن تيمية : المجلد الثالث عشر صـــ١٨٤مرجع سابق .

٢ – انظر على سبيل المثال : درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية جـ ٢ صـــ ٤٩_ ٧٣ تحقيق د/ محمد رشاد سالم الطبعة الثانية طبعة جامعة الإمام _ السعودية ١٤١١هـ ١٩٩١م

٣ – الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية _نونية ابن القيم : تحقيق مجموعة من العلماء طبعة مجمع الفقه الإسلامي المجلد الأول صـــ ٣٩٢ ، ٣٩٣

٤ – مجموع فتاوى ورسائل العثيمين : محمد بن صالح العثيمين _ جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان طبعة دار الوطن ودار الثريا ١٤١٣هـ جـ ٧ صـ ٢٥٤

من طالع هذا الكتاب بعلم وعدل تبين له ضعف حجة هؤلاء المعطلة، بل بطلانها، وأن هذه التأويلات التي توجد في كلام كثير من المتأخرين كالرازي، والغزالي، وابن عقيل وغيرهم هي بعينها تأويلات بشر " (١).

ويقول "وقد استدل بحديث الدجال على أن الله تعالى عينين عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه : "الرد على بشر المريس " الذي أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية . وقال : "إن فيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما" يعني هذا الكتاب وكتابه الثاني : "الرد على الجهمية" قال الدارمي في الكتاب المذكور (ص ٤٣ ط أنصار السنة المحمدية) ، بعد أن ساق آيتي صفة العينين : ثم ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدجال فقال : إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، قال : والعور عند الناس ضد البصر ، والأعور عندهم ضد البصير بالعينين .وقال في صـــ ٤٨ ففي تأويل قول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الله ليس بأعور بيان أنه بصير ذو عينين خلاف الأعور" (٢).

ويقول أحد الكتاب " طوائف أهل الكلام الذين صرحوا بلفظ الحركة ..

وذكر عثمان بن سعيد الدارمي إثبات لفظ الحركة في كتاب نقضه على بشر المريسي ، ونصره على أنه قول أهل السنة والحديث "(٣).

ويقول عنه الشيخ / حامد الفقي في مقدمته لكتاب الرد على الجهمية :" وأثنى على كتابه هذا كثير من أئمة السلف ، وقرّظوه بعبارات فخمة ، وهو في الواقع كما قالوا "(٤)

---

١ – مجموع فتاوى ورسائل العثيمين : محمد بن صالح العثيمين _ جـــ ٤ صـــ ٦٧
٢ – مجموع فتاوى العثيمين : جـــ ١ صـــ ٤٩
٣ – صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة : علوي بن عبد القادر السقاف _ طبعة دار الهجرة الثالثة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م جـ ١ صـــ ١٣
٤ – الرد على المريسي : الدارمي _ تحقيق : محمد حامد الفقي صـــ ك من المقدمة_ طبعة دار الكتب العلمية بيروت

يقول الشيخ الكوثري : " للمحدثين ورواة الأخبار منزلة عليا عند جمهرة أهل العلم ، لكن بينهم من تعدى طوره ، وألف فيما لا يحسنه فأصبح مجلبة العار لطائفته بالغ الضرر لمن يسايره ويتقلد رأيه ، ومن هؤلاء غالب من ألف منهم في صفات الله سبحانه وتعالى " (١)

ويقول الشيخ / سلامة العزامي : " ومما يؤسف له أن بعض الحفاظ للسنة وقع في هذا الخطأ الكبير فخاض في تفسير الأحاديث المتشابهة ، وقال في ذات الله وصفاته ما أنكره عليه أجلة الفقهاء لهذا الشأن الأعلى .

والفقه فقهان : فقه أكبر ، وهو المتعلق بما ينبغي لله ، وما لا ينبغي له ، وما يتصل بذلك . وفقه كبير ، وهو العلم بالأحكام الشرعية العملية ، ومن الغلط العظيم أن يؤخذ عن الرجل ما لا يحسنه ، لأن له الإمامة في فن أحسنه .

وكثيرا ما يكون الرجل إماما في علم الأصول وهو متوسط أو دون المتوسط في علم الفروع وبالعكس .

ومن هنا نعلم السر فيما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم : " أنزلوا الناس منازلهم " وقد احتج به الإمام مسلم على من يروي عن الضعفاء كأنه يسوي بينهم وبين الثقات .

وتاريخ الجهابذة حافل بأخذ كل فن عن إمامه :

فهذا تاج الدين السبكي كان الذهبي من شيوخه في الحديث ، وشهد له بالحفظ ، ولم يكن يتبعه في آرائه الخاصة المنحرفة ، فقال بعدما أثنى على حفظه : " والحق أن شيخنا قليل الخبرة بمدلولات الألفاظ "

---

١ – الأسماء والصفات : الإمام البيهقي _ تحقيق / محمد زاهد الكوثري _ قدمه ووضع فهارسه : د/ محمد نجم الدين الكردي الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م صـــ ١١٣

وهذا ابن خزيمة له الإمامة في الحفظ والعلم بالعلل في المتون والأسانيد وفنون سوى علم الكلام ، قال فيه أبو سهل الصعلوكي _ المجمع على إمامته في الحديث والأصول والفروع . وهو أحد الرواة عنه _ حين ألف كتاب التوحيد : " إن شيخنا تكلم في ما لا يعنيه " وطعنه الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره وإنما أتي هذا الإمام من دخوله فيما لا يحسنه . وفي الأثر " رحم الله امرأ عرف قدره ولم يتعد طوره " (١)

---

١ – فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان : الشيخ / سلامة العزامي _ طبعة مطبعة السعادة بدون تاريخ صـــ ١٥– ١٨ بإيجاز ، وانظر أيضا مقدمة كتاب الأسماء والصفات للبيهقي : صـــ ٢٥ ، ٢٦

المبحث الثاني

تعريف الصفات الخبرية وأقوال العلماء فيها :

الصفات جمع صفة ، والصفة : " الاسم الدال على بعض أحوال الذات " (١) وتعريف الصفات بهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة ، ولذلك يطلق عليهم اسم "الصفاتية " يقول المقريزي :" والأشاعرة يسمون الصفاتية لإثباتهم صفات الله تعالى القديمة"(٢)

أقسام الصفات :

مع كثرة ما جاءت به النصوص من صفات الله _ تعالى_ فإن الصحابة رضوان الله عليهم لم يرد عنهم الانشغال بدراستها وطلب معانيها فضلا عن تقسيمها وتبويبها ، وإنما آمنوا بها جملة واحدة ، وساقوا القول فيها سوقا واحدا .

يقول المقريزي في خططه تحت عنوان : ذكر الحال في عقائد أهل الإسلام منذ ابتداء الملة الإسلامية إلى أن انتشر مذهب الأشعرية ، يقول : "اعلم أن الله تعالى لما بعث من العرب نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ، رسولا إلى الناس جميعا ، وصف لهم ربهم سبحانه وتعالى ، بما وصف به نفسه الكريمة في كتابه العزيز الذي نزل به على قلبه صلى الله عليه وسلم الروح الأمين ، وبما أوحى إليه ربه تعالى .

فلم يسأله صلى الله عليه وسلم أحد من العرب بأسرهم _ قرويهم وبدويهم _ عن معنى شيء من ذلك ، كما كانوا يسألونه صلى الله عليه وسلم عن أمر

---

١ – التعريفات : الجرجاني طبعة مكتبة لبنان ١٩٨٥م صـــ ١٣٨ وأنظر أيضا شرح جوهرة التوحيد : البيجوري _ تحقيق : محمد أديب الكيلاني ، وعبد الكريم تتان طبعة مكتبة الغزالي _سوريا ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م صـــ ١٤٦

٢ – الخطط : المقريزي : تحقيق : محمد زينهم ، و مديحة الشرقاوي طبعة مكتبة مدبولي ١٩٨٨م جـــ ٢ صـــ ٣٩٠

الصلاة والزكاة والصيام والحج ، وغير ذلك مما لله فيه سبحانه أمر ونهي ، وكما سألوه عن أحوال القيامة والجنة والنار . إذ لو سأله إنسان منهم عن شيء من الصفات الإلهية ،لنقل كما نقلت الأحاديث الواردة عنه صلى الله عليه وسلم في أحكام الحلال والحرام ، وفي الترغيب والترهيب وأحوال القيامة والملاحم والفتن، ونحو ذلك مما تضمنته كتب الحديث معاجمها ومسانيدها وجوامعها .

ومن أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي ، ووقف على الآثار السلفية، علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة _رضي الله عنهم_ _ على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم_ أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه به نفسه الكريمة في القرآن الكريم ، وعلى لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، بل كلهم فهموا معنى ذلك، وسكتوا عن الكلام في الصفات .. نعم ولا فرق أحد منهم بين كونها صفة ذات أوصفة فعل (١)

وقد قسّم الإمام البيهقي الصفات إلى قسمين رئيسين : عقلي ، وسمعي يقول: " ثم منه ما اقترنت به دلالة العقل كالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام ونحو ذلك من صفات ذاته ، وكالخلق والرزق والإحياء والإماتة والعفو والعقوبة ونحو ذلك من صفات فعله ، ومنه ما طريق إثباته ورود خبر الصادق به فقط كالوجه واليدين والعين في صفات ذاته ، وكالاستواء على العرش والإتيان والمجيء والنزول ونحو ذلك من صفات فعله"(٢)

---

١ – الخطط : المقريزي _ تحقيق : محمد زينهم ، و مديحة الشرقاوي طبعة مكتبة مدبولي ١٩٨٨م جـ٣ صـ ٤١٩، ٤٢٠

٢ – الأسماء والصفات : البيهقي صـ ٢٣٤

فالصفات العقلية : وهي التي يعرفها البيهقي نفسه بقوله : " ما كان طريق إثباتها أدلة العقول مع ورود السمع به " (١)

والصفات السمعية أو الخبرية " ما كان طريق إثباته الكتاب والسنة فقط كالوجه واليدين والعين " (٢) وسميت بهذا الاسم لأن طريق إثباتها إنما هو الخبر المجرد ، ولا دخل للعقل في إثباتها ، بل إن العقل قد يحيل الكثير من الظواهر الواردة فيها .

لهذا كثر النزاع فيها بين المسلمين ، وانقسم الناس فيها إلى طوائف شتى: فمنهم من غلب ظواهر النصوص فأثبتها صفات لله تعالى ، ومنهم من غلب الحجج العقلية فمال إلى تأويلها ،ومنهم من آثر تفويض تفسير هذه النصوص إلى الله تعالى.

يقول الإمام ابن الجوزي الحنبلي : " واعلم أن الناس في أخبار الصفات على ثلاث مراتب :

أحدها : إمرارها على ما جاءت من غير تفسير ولا تأويل إلا أن تقع ضرورة كقوله تعالى (وَجَاءَ رَبُّكَ)(٣) أي جاء أمره وهذا مذهب السلف .

المرتبة الثانية : التأويل ، وهو مقام خطر .

والمرتبة الثالثة : القول فيها بمقتضى الحس ، وقد عم جهلة الناقلين إذ ليس لهم حظ من علم المعقولات التي يعرف بها ما يجوز على الله تعالى وما يستحيل، فإن علم المعقولات يصرف ظواهر المنقولات عن التشبيه ، فإذا عدموها تصرفوا في النقل بمقتضى الحس " (٤)

---

١ – الاعتقاد : البيهقي صـ ٧٠

٢ – الاعتقاد : البيهقي صـ ٧١

٣ – سورة الفجر : من الآية ٢٢

٤ – دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه : عبد الرحمن بن علي الجوزي _ تحقيق : محمد زاهد الكوثري ضمن كتاب الأعمال الكاملة _ العقيدة وعلم الكلام _ طبعة دار الكتب العلمية الأولى ٢٠٠٤هـ ١٤٢٥م . صـ ٢٦٠_ ٢٦٢

ويقول الإمام النووي" اعلم أن لأهل العلم في أحاديث الصفات وآيات الصفات قولين : أحدهما وهو مذهب معظم السلف أو كلهم أنه لا يتكلم في معناها بل يقولون يجب علينا أن نؤمن بها ونعتقد لها معنى يليق بجلال الله وعظمته مع اعتقادنا الجازم أن الله تعالى ليس كمثله شيء ، وأنه منزه عن التجسم ، والانتقال ، والتحيز في الجهة، وعن سائر صفات المخلوق ، وهذا القول هو مذهب جماعة من المتكلمين ، واختاره جماعة من محققيهم وهو أسلم ، والقول الثاني وهو مذهب معظم المتكلمين أنها تتأول على ما يليق بها على حسب مواقعها ، وإنما يسوغ تأويلها لمن كان من أهله بأن يكون عارفا بلسان العرب وقواعد الأصول والفروع"(١).

فالسلف _ رضوان الله عليهم _ آثروا السكوت عن تفسير هذه النصوص وكرهوا الخوض فيها ، والسؤال عنها ، لأن هذا _ في رأيهم _ مما استأثر الله بعلمه: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ)(٢)

يقول ابن خلدون عن مذهب السلف :

" فأما السلف فغلبوا أدلة التتريه لكثرتها ووضوح دلالتها ، وعلموا استحالة التشبيه ، وقضوا بأن الآيات من كلام الله فآمنوا بها ، ولم يتعرضوا لمعناها ببحث ولا تأويل ، وهذا معنى قول الكثير منهم : اقرأوها كما جاءت أي آمنوا بأنها من عند الله ولا تتعرضوا لتأويلها ولا تفسيرها لجواز أن تكون ابتلاء فيجب الوقف والإذعان له " (٣)

---

١ – شرح صحيح مسلم : النووي _ طبعة المطبعة المصرية بالأزهر الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ _ ١٩٢٩م جـ ٣ صـ ١٩

٢ – سورة آل عمران : من الآية ٧

٣ – مقدمة ابن خلدون : صـ ٥١٧ طبعة المطبعة الشرفية مصر بدون تاريخ

ويقول الإمام الخطابي _ رحمه الله _ بعد شرحه لحديث الترول : " والمتشابه يقع به الإيمان والعلم الظاهر ، ويوكل باطنه إلى الله عز وجل وهو معنى قوله : (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ)(١). وإنما حظ الراسخين أن يقولوا : آمنا به كل من عند ربنا".

ثم قال : " والقول في جميع ذلك عند علماء السلف ما قلناه ، وروي مثل ذلك عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم " (٢)

ويقول الشهرستاني : " بل نقول كما قال الراسخون في العلم : ذلك من عند ربنا: آمنا بظاهره ، وصدقنا بباطنه ، ووكلنا علمه إلى الله تعالى ، ولسنا مكلفين بمعرفة ذلك إذ ليس ذلك من شرائط الإيمان وأركانه . واحتاط بعضهم أكثر احتياطا حتى لم يقرأ اليد بالفارسية ولا الوجه ولا الاستواء ولا ما ورد من جنس ذلك بل إن احتاج في ذكره إلى عبارة عبر عنها بما ورد لفظا بلفظ فهذا هو طريق السلامة وليس هو من التشبيه في شيء " (٣)

بل إن ابن تيمية نفسه ينقل هذا عن السلف _ رغم مناقضته له _ فهو يقول عن السلف : " ولم يفسروا ما يتعلق بالصفات منها ، ولا تأولوه ، ولا شبهوه بصفات المخلوقين إذ لو فعلوا شيئا من ذلك لنقل عنهم ولم يجز أن يكتم بالكلية .... بل بلغ من مبالغتهم في السكوت عن هذا أنهم كانوا إذا رأوا من يسأل عن المتشابه بالغوا في كفه "

---

١ – سورة آل عمران : من الآية ٧

٢ – الأسماء والصفات : الإمام البيهقي صـ ٤٥٤

٣ – الملل والنحل : الشهرستاني _ تحقيق : محمد فريد طبعة المكتبة التوفيقية بدون تاريخ جـ ١ صـ ١١٧

ثم يستشهد بقول محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمهما الله : " اتفق الفقهاء كلهم من الشرق والغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفة الرب عز وجل من غير تفسير ولا وصف ولا تشبيه فمن فسّر شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، وفارق الجماعة فإنهم لم يصفوا ، ولم يفسروا ولكن آمنوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا " [1]

ويقول : "ويروى عن الشافعي: [آمنت بما جاء عن الله وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد رسول الله]" [2]

ويقول _ وهو يحكي موقف بعض العلماء من الاستواء _ : " وقوم يسكتون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات " [3]

ويقول سفيان ابن عيينة _ رحمه الله _ : " ما وصف الله تبارك وتعالى نفسه في كتابه فقراءته تفسيره ليس لأحد أن يفسره بالعربية ولا بالفارسية" [4]

وينقل الدارمي _ موضوع بحثنا _ عن محمد بن الحنفية _ رحمه الله _ أنه قال: " إنما تهلك هذه الأمة إذا تكلمت في ربها" [5]

وروي عنه أنه قال : " إن قوما ممن كانوا قبلكم أوتوا علما كانوا يكتفون فيه ... فسألوا عما فوق السماء وما تحت الأرض فتاهوا " [6]

---

١ – مجموع الفتاوى : جـ ٤ صـ ٣_ ٥
٢ – مجموع الفتاوى : ابن تيمية جـ ٤ صـ ٢
٣ – مجموع الفتاوى : ابن تيمية جـ ٥ صـ ١١٧
٤ – الأسماء والصفات : البيهقي صـ ٣١٤
٥ – الرد على الجهمية : الدارمي صـ ٢٠ ، ٢١
٦ _ الرد على الجهمية : الدارمي صـ ٢٤

ويقول الدارمي : " وقد كان من مضى من السلف يكرهون الخوض في هذا وما أشبهه " [1]

وينقل الإمام الذهبي عن وكيع أنه قال : " كان إسماعيل ابن أبي خالد والثوري ومسعر يروون هذه الأحاديث لا يفسرون منها شيئا " [2]

وينقل أيضا عن الوليد بن مسلم أنه قال : " سألت الأوزاعي ومالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفات ؟ فكلهم قالوا لي: أمروها كما جاءت بلا تفسير " [3]

وينقل أيضا عن ابن سريج أنه سأل عن الصفات فقال : " حرام على العقول أن تمثل الله ، وعلى الأوهام أن تحده ، وعلى الألباب أن تصف إلا ما وصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسله ، وقد صح عن جميع أهل الديانة والسنة إلى زماننا أن جميع الآي والأخبار الصادقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب على المسلمين الإيمان بكل واحد منه كما ورد ، وأن السؤال عن معانيها بدعة ، والجواب كفر وزندقة " [4]

فالسلف _ رضوان الله عليهم _ كانوا ينزهون الله _ تعالى _ عن ظواهر هذه النصوص ، ثم لا يعينون المراد بعد وهذا هو ما يسمى بالتأويل الإجمالي يقول العضد الإيجي _ رحمه الله _ : " فتؤول الظواهر إما إجمالا ، ويفوض تفصيلها إلى الله كما هو رأي من يقف على (إلا الله) وعليه أكثر السلف " [5]

---

١ - الرد على الجهمية : الدارمي صـ ١٨
٢ - مختصر العلو للعلي الغفار : الألباني _ طبعة المكتب الإسلامي الأولى ١٤٠١ هـ ١٩٨١م صـ ١٥٠
٣ - مختصر العلو : الألباني صـ ١٤٢ مرجع سابق
٤ - مختصر العلو : الألباني صـ ٢٢٦ مرجع سابق
٥ - المواقف : الإيجي _ صـ ٢٧٢ ، ٢٧٣ طبعة مكتبة المتنبي القاهرة بدون تاريخ .

ويقول الإمام الجويني : "وقد اختلفت مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة . وامتنع على أهل الحق اعتقاد فحواها . وإجراؤها على موجب ماتبتدره أفهام أرباب اللسان منها ، فرأى بعضهم تأويلها والتزام المنهج في آي الكتاب ، وما يصح من سنن الرسول صلى الله عليه وسلم.

وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها ، وتفويض معانيها إلى الرب تعالى . والذي نرتضيه رأيا وندين الله به عقلا : اتباع سلف الأمة فالأولى الاتباع وترك الابتداع"(١)

ويقول الدكتور / محمد عبد الله دراز : " وكلمة " اليد " في الحديث ، أو " اليمين " في الآية يقول فيها العلماء المتأخرون إن معناها القدرة أو القوة وهو استعمال مجازي مشهور . يقال لا يدين لي بكذا أي لا قدرة لي عليه . أما السلف الصالح فقد اشتهر عنهم أنهم لا يؤولون هذه الظواهر . بل يأخذونها على حقائقها والواقع أنهم لا يمنعون أصل التأويل ولكنهم يسلكون في تأويلها مسلكا علميا متينا يدل على علو كعبهم في الفهم رضي الله عنهم ....

وبيانه أنه لما دلت الأدلة القاطعة على مخالفته تعالى للحوادث كان هذا قرينة مانعة عن إرادة المعنى الحقيقي المعروف لنا ، فإذا هي مصروفة عن هذا الظاهر يراد بها معنى مجازيّ ، لكننا لم تقم لنا قرينة معينة على تحديد هذا المعنى المجازي : هل المراد به القدرة أم الإرادة ؟ أم صفة أخرى لا نعرفها ؟ أم ليس هناك مجاز في المفرد يشار به إلى صفة معينة ، وإنما هو كلام تمثيلي لتربية المهابة في النفوس ؟ فكل ذلك سائغ في النظر وليس هناك دليل يعيّن واحدا بخصوصه من هذه المعاني . لذلك وجب أن نقف حيث وقف بنا الدليل ، فلنثبت لله تعالى ما أراده من كلامه على الوجه الذي أراده ، مع تنزيهه عن المعنى الذي نعرفه من صفات المخلوقين .

---

١ – العقيدة النظامية : الجويني _ تحقيق : محمد زاهد الكوثري طبعة المكتبة الأزهرية للتراث ١٤١٢هـ ١٩٩٢م صـــــ ٣٢

ترون من هذا أن السلف يجوّزون المعنى الذي ذهب المتأخرون على أنه احتمال يحتمله الكلام ، ولكنهم لا يلتزمونه التزاما . لأن القول بالالتزام قول بغير دليل ، فلذلك سكتوا عن الخوض في تحديد معاني هذه الظواهر واكتفوا بمعناها الإجمالي المصروف عن الظاهر .

أما طريق الخلف وهو الخوض في تحديد التأويلات فإنما ألجأهم إليه _ والله أعلم _ ظهور بدع المشبّهة والمجسّمة وغيرهم ، فأرادوا سد باب الإيهام ، ودفع الوساوس عن العوام ، لكيلا يخرجوا عن دائرة التنزيه ، ولا يحوموا حول التشبيه"(١)

ويقول الشيخ / محمود أبو دقيقة : " " قد ثبت بالعقل أن الله تعالى ليس بجسم ، لأنه لو كان جسما لكان حادثا ، لتركبه ، والتركيب يقضي باحتياج المركب إلى أجزائه ، والاحتياج إلى الغير مستلزم للحدوث ، وهو محال ، لأن الله تعالى قديم ، ومعلوم أم ما ثبت بالعقل قطعي ، لا يقبل النفي أصلا ، فإن ورد في النقل ما يخالفه نظر في ذلك النقل فإن كان قرآنا وجب تأويله وإرجاعه إلى ما يتفق مع هذا الذي ثبت بالعقل ، وإن كان آحادا كان ظني الثبوت ، فلا يعارض القطعي، ولو تنزلنا وقلنا بقطعية ثبوته ، (ولا سبيل إلى ذلك) أوّلناه وأرجعناه إلى ما ثبت بالعقل ، فيجب حينئذ تأويل هذه الآيات والأحاديث ، وما ماثلها ، وإرجاعها إلى ما ثبت بالعقل ، والتأويل هو إخراج الشيء عن ظاهره المتبادر منه ، وهذا القدر متفق عليه بين الخلف والسلف ، وأما تعيين المراد من النص ، أو الحديث بعد التأويل بالمعنى المتقدم ، فقد حصل فيه خلاف ، فالسلف يفوضون

---

١ - المختار من كنوز السنة : د/ محمد عبد الله دراز _ عنى بنشره:عبد الله بن إبراهيم الأنصاري طبعة قطر صـــــ ١٨٦ ، ١٨٧

علمه إلى الله تعالى ، والخلف يعينون معنى ، يحمل ذلك اللفظ عليه ، بواسطة قرينة تساعد على ذلك " (١) .

ويقول الشيخ علي الطنطاوي – رحمه الله تعالى – (٢):(بيّن الله في القرآن أن فيه آيات محكمات واضحة المعنى، صريحة اللفظ، وآيات وردت متشابهات، ولا يَضِحُ ــ الفعل المضارع من (وضح) ــ المعنى المراد منها تماماً، وإن على المؤمن ألا يطيل الغوص في معناها، ولا يتتبعها فيجمعها ليفتن الناس بالبحث فيها، ومن المتشابه آيات الصفات)

وعلّق – رحمه الله – على هذا في الهامش قائلاً: (ومن جمعها كلها وألقاها إلى التلاميذ فقد جانب طريقة السلف، لا سيما إذا ضمّ إليها أحاديث الآحاد المروية في مثلها، والتي لا تعتبر دليلاً قطعياً في أمور العقائد) .

ثم بين – رحمه الله تعالى – موقف المسلمين منها فقال:(المسلمون الأولون وهم سلف هذه الأمة وخيرها وأفضلها لم يتكلموا فيها، ولم يخوضوا في شرحها، بل آمنوا بها كما جاءت من عند الله على مراد الله، فلما انتشر علم الكلام، وأوردت الشبه على عقائد الإسلام، وظهرت طبقة جديدة من العلماء انبرت لِرَدِّ هذه الشبه، تكلم هؤلاء العلماء في آيات الصفات، وفهموها على طريقة العرب في مجاوزة المعنى الأصلي للكلمة إذا لم يمكن فهمها به إلى معنى آخر، وهذا ما يسمى المجاز أو التأويل، وقيل في هذا: طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أحكم،

---

١ – القول السديد في علم التوحيد : الشيخ / محمود أبو دقيقة ـ تحقيق : د/ عوض الله جاد حجازي الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م طبعة مجمع البحوث الإسلامية جـــ ٢ صـــ ٦٩ ، ٧٠ وانظر أيضا : شرح عقيدة الغزالي ـ الشيخ / أحمد زروق ـ تحقيق: د/ محمد عبد القادر نصار طبعة دارة الكرز الأولى ٢٠٠٧م صـــ ٦١ وما بعدها

٢ ـ تعريف عام بدين الإسلام : علي الطنطاوي صـــ ٨٤

وكلهم متفقون على أن هذه الآيات نزلت من عند الله، من أنكر شيئاً منها كفر، وأن من عطلها تماماً فجعلها لفظاً بلا معنى كفر، ومن فهمها بالمعنى البشري وطبقه على الله فجعل الخالق كالمخلوق كفر، والمسلك خطر، والمفازة مهلكة، والنجاة منها باجتناب الخوض فيها) .

ويقول الشيخ يوسف الدجوي : "ولابد أن تكون قد عرفت أن السلف في آيات الصفات وأحاديث الصفات يفوضون بعد التنزيه ، وأن الخلف يؤولون خوفا من التشبيه ، فكلهم متفقون على التنزيه ، وإنما الفرق بينهما أن علماء الخلف يعينون المعنى المراد ، فيقولون مثلا في قوله تعالى : (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)(١) : المراد باليد القدرة ، والسلف يفوضون بعد التنزيه ، فيقولون : إننا ننزهه ـ تعالى ـ عن الجارحة ولا نعين شيئا خاصا من المعاني التنزيهية كما فعل علماء الخلف "(٢)

رأي الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله ومن وافقهما

يرون أن مذهب السلف هو إثبات هذه الصفات لله تعالى على حقيقتها من غير تشبيه ولا تعطيل ، ولندع ابن تيمية نفسه يبين لنا مفهومه لمذهب السلف يقول: " ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه ، وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل ، ونعلم أن ما وصف الله به من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي ، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه لا سيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول ، وأفصح الخلق في بيان العلم " (٣)

---

١ - سورة الفتح : من الآية ١٠

٢ - مقالات وفتاوى الشيخ يوسف الدجوي : طبعة مجمع البحوث الإسلامية ١٤٠١هـــ ١٩٨١م ـ صـــ ٢٠٤

٣ مجموعة الفتاوى : جـــ ٥ صـــ ٢٦

وهو يندد بمن ينسب التفويض إلى السلف ويسميهم أهل التجهيل (١) وكأنهم ينسبون السلف إلى الجهل ، بل إنه اتهمهم بأكثر من هذا حيث يقول : " فمن جعل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان غير عالمين بمعاني القرآن جعلهم بمنزلة الكفار والمنافقين فيما ذمهم الله تعالى عليه"(٢)

وأما ابن القيم _ رحمه الله _ فهو تابع في ذلك لشيخه ، لا يخرج عن كلامه فهو يقول مثلا : " تنازع الناس في كثير من الأحكام ولم يتنازعوا في آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد بل اتفق الصحابة والتابعون على إقرارها وإمرارها مع فهم معانيها وإثبات حقائقها ، وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بيانا وأن العناية ببيانها أهم لأنها من تمام تحقيق الشهادتين ، وإثباتها من لوازم التوحيد، فبينها الله سبحانه وتعالى ورسوله بيانا شافيا لا يقع فيه لبس يوقع الراسخين في العلم . وآيات الأحكام لا يكاد يفهم معانيها إلا الخاصة من الناس ، وأما آيات الصفات فيشترك في فهم معناها العام والخاص " (٣)

"ورحم الله ابن القيم كيف استرسل إلى هذا الحد حتى جعلك تعيش على شاطئ الأحلام متناسيا غبار أشرس معركة داخلية تعاني منها الأمة إلى اليوم"(٤)

والذي يقرأ ما جاء في "كتاب ابن القيم " اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية ، وما ذكره في " الصواعق المرسلة " وما جاء في " القصيدة

١ – مجموعة الفتاوى : جـ ٥ صـ ٣١
٢ – مجموعة الفتاوى : جـ ٤ صـ ٦٧
٣ – مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم : اختصره : محمد بن الموصلي _ تحقيق : حسن بن عبد الرحمن العلوي طبعة مكتبة أضواء السلف الأولى ١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٥م صـ ٣٩ ، ٤٠
٤ – الصفات الخبرية عند أهل السنة والجماعة : محمد عياش الكبيسي طبعة المكتب المصري الحديث الأولى صـ ٦٦

النونية" المسماة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، وكذلك ما ذكره في بدائع الفوائد لا يجد أدنى فرق بينه وبين ابن تيمية في الفكرة الأساسية اللهم إلا بالإيجاز والإطناب .

ويبدو أن ابن القيم قد أحس بعد هذا التشبث في الإثبات وعدم التأويل أن كلامه فيما يوهم التشبيه والتجسيم قد يفهم منه ذلك ، فتمثل قول الشاعر :

فإن كان تجسيدا ثبوت صفاته ... وتنزيهه عن كل تأويل مفتـرى
فإني بحمد الله ربي مجسـم ... هلموا شهودا واملأوا كل محضري

ثم يقول نثرا : " ونحن ندين بالقدر وإن سمي جبرا ، وندين بإثبات الصفات وحقائق الأسماء وإن سمي تجسيما ، وندين بإثبات علو الله على عرشه ، فوق سماواته وإن سمي تحيزا وجهة ، وندين بإثبات وجهه الأعلى ويديه المبسوطتين وإن سمي تركيبا ، وندين بأنه متكلم حقيقة كلاما يسمعه من يخاطبه ، وأنه يرى بالأبصار عيانا حقيقة يوم لقائه ، وإن سمي هذا تشبيها " (١)

ويمكن أن نعرف هؤلاء بأنهم فريق الإثبات ،أو من يؤمنون بالمعاني الظاهرة لنصوص الصفات الخبرية ، مع التأكيد في الوقت نفسه على نفي التشبيه !!!!

يقول ابن القيم _ رحمه الله _ : " لا ريب أن الله وصف نفسه بصفات ، وسمى نفسه بأسماء وأخبر عن نفسه بأفعال ، وأخبر أنه يحب ، ويكره ، ويمقت، ويرضى ، ويغضب ، ويَسخَر ، ويجيء ، ويأتي ، وينزل إلى سماء الدنيا ، وأنه استوى على عرشه ، وأن له علما ، وحياة ، وقدرة ، وإرادة، وسمعا، وبصرا ، ووجها ، وأن له يدين ، وانه فوق عباده ، وأن الملائكة تعرج إليه وتنزل بالأمر من

١ – المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام : د/ محمد عبد الستار نصار صـ ١٦٦ ، ١٦٧ وانظر أيضا: ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي : د/ عوض الله جاد حجازي _ مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م صـ ١٧٧ ، ١٧٨

عنده ، وأنه قريب ، وأنه مع المحسنين ، ومع الصابرين ، ومع المتقين ، وأن السموات مطويات بيمينه ، ووصفه رسوله بأنه يفرح ويضحك ، وأن قلوب العباد بين أصابعه وغير ذلك" (١)

وما يهمنا هنا هو مستند ابن تيمية فيما ذهب إليه ، فقد استند إلى ما ورد عن بعض المحدثين ، واعتبرهم هم وحدهم السلف ، من أمثال متأخري الحنابلة وابن خزيمة _ رحمه الله _ الذي كتب كتاب " التوحيد وإثبات صفات الرب " وجاء أغلبه في إثبات الصفات الخبرية كالوجه ، واليدين ، والأصابع ، والرجل ، وغيرها ، بل عقد لكل واحدة منها بابا !!!!.

وأيضا عثمان بن سعيد الدارمي _ موضوع هذا البحث _ الذي يملأ كتابه كما سنرى بالغلو في الإثبات ، والهجوم على كل من لم يقل به حتى يقول الدارمي: " لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء ، ويتحرك إذا شاء ، ويترل ويرتفع إذا شاء ، ويقبض ويبسط ، ويقوم ويجلس إذا شاء ، لأن أمارة مابين الحي والميت التحرك"(٢)

وابن تيمية لا يخفي اعتماده على كتاب الدارمي يقول: "ويدل على ذلك كتاب الرد الذي صنفه عثمان بن سعيد الدارمي أحد الأئمة المشاهير في زمان البخاري صنف كتابا سماه: [رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى على الله في التوحيد] حكى فيه هذه التأويلات بأعيانها عن بشر المريسي بكلام يقتضي أن المريسي أقعد بها وأعلم بالمنقول والمعقول من هؤلاء المتأخرين الذين اتصلت إليهم من جهته وجهة غيره ثم رد ذلك عثمان بن سعيد بكلام إذا طالعه

---

١ – مختصر الصواعق المرسلة : محمد بن الموصلي _ صـــ ٤٢ مرجع سابق .

٢ – الرد على المريسي : الدارمي صـــ ٢٠

العاقل الذكي: علم حقيقة ما كان عليه السلف وتبين له ظهور الحجة لطريقهم وضعف حجة من خالفهم " (١)

ولا أدري كيف يعلم حقيقة ما كان عليه السلف من كتاب الدارمي ، وفيه من الغلو ما لا يرتضيه ذكي ولا غير ذكي ، فالدارمي هو الذي يقول في نفس هذا الكتاب : " إن كرسيه وسع السموات والأرض ، وإنه ليقعد عليه فما يفضل منه إلا قدر أربعة أصابع " (٢)

ويقول : "وقد بلغنا أنهم حين حملوا العرش وفوقه الجبار في عزته وبهائه ضعفوا عن حمله واستكانوا ، وجثوا على ركبهم ، حتى لقّنوا " لا حول ولا قوة إلا بالله" فاستقلوا به بقدرة الله وإرادته . لولا ذلك ما استقل به العرش ، ولا الحملة ، ولا السموات ، ولا الأرض ، ولا من فيهن . ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضة، فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته . فكيف على عرش عظيم أكبر من السموات السبع والأرضين السبع ، وكيف تنكر أيها النفاج (٣) أن عرشه يقلّه ، والعرش أكبر من السموات السبع والأرضين السبع ؟ ولو كان العرش في السموات والأرضين ما وسعته . ولكنه فوق السماء السابعة " (٤)

ويمتاز هذا الفريق في هذه المسألة بعدة مظاهر منها :

أولا: جمع هذه الصفات في باب واحد أو كتاب واحد ، و حشد الأدلة عليها مع بعد هذا عن التوفيق كما يقول الإمام الغزالي _ رحمه الله _ " ولقد بعد عن

---

١ – مجموعة فتاوى ابن تيمية : المجلد الخامس صـــ٢٣ مرجع سابق .

٢ – الرد على المريسي : الدارمي صـــ ٧٤

٣ – هكذا ورد في الكتاب : والنفاج : هو الذي يتمدح بما ليس فيه ــ انظر لسان العرب :ابن منظور طبعة دار المعارف صـــ ٤٤٩٢

٤ – الرد على المريسي : الدارمي صـــ ٨٥

التوفيق من صنّف كتابا في جميع هذه الأخبار خاصة ورسم في كل عضو بابا ، باب في إثبات الرأس ، وباب في اليد إلى غير ذلك ، وسماه كتاب الصفات فإن هذه كلمات متفرقة صدرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم في أوقات متفرقة متباعدة اعتمادا على قرائن مختلفة تفهم المسلمين معاني صحيحة ، فإذا ذكرت مجموعة على مثال خلق الإنسان صار جمع تلك المتفرقات في السمع دفعة واحدة قرينة عظيمة في تأكيد الظاهر وإيهام التشبيه " (١)

وثانيا : الاستدلال بالألفاظ المترادفة أو القريبة على إثبات الصفات الخبرية

فترى كثيرا من أنصار هذا المذهب يستدلون على إثبات اليدين بالنصوص الواردة في اليمين والكف والأصابع والقبض والبسط ونحو ذلك ، ويستدل على إثبات العلو بالنصوص الواردة في الاستواء والفوقية والصعود والعروج والنزول وغيرها ، بل اعتبر ابن القيم هذا نوعا من التأكيد ما فوقه تأكيد فتراه يقول في نونيته :

هذا وخاتم هذه العشرين وجها ... وهو أقربها إلى الأذهان

سرد النصوص فإنها قد نوعت ... طرق الأدلة في أتم بيان

ثم يسرد نصوص الاستواء والفوق والعلو ونحوها (٢) وهذا يدل على أن أصحاب هذا المذهب يثبتون هذه الألفاظ على معانيها الظاهرة ، فالذي يربط بين اليد والأصابع لا شك أنه قد ساقه إلى هذا الربط إيمانه بظاهر هاتين الكلمتين المعروف عند المخلوقين ، وتأمل معي قول الإمام الخطابي _ رحمه الله_ : "وليس معنى اليد في الصفات الجارحة حتى يتوهم من ثبوتها ثبوت الأصابع"(٣)

---

١ - إلجام العوام عن علم الكلام : الإمام الغزالي _ طبعة الهند صـــــ ٣٠، ٣١ وانظر أيضا الصفات الخبرية عند أهل السنة والجماعة: الكبيسي صـــ ١٢٧ ، ١٢٨ مرجع سابق .

٢ - الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية _نونية ابن القيم : تحقيق مجموعة من العلماء صـــ ٤٤٣_ ٤٤٧ مرجع سابق

٣ - الأسماء والصفات : البيهقي صـــــ

لكننا نلاحظ تميزا بين المثبتين لهذه الظواهر في أمر ربما يكون مهما ألا وهو إثبات لوازم هذه الصفات أو عدم إثباتها ، ويؤكد هذا ابن تيمية نفسه فيقول: " فما زال في الحنبلية من يكون ميله إلى نوع من الإثبات الذي ينفيه طائفة أخرى منهم ، ومنهم من يمسك عن النفي والإثبات جميعا ، ففيهم نفس التنازع الموجود في سائر الطوائف " (١).

ويقول "وأما الحنبلية، فأبو عبد الله بن حامد قوي في الإثبات، جاد فيه يترع لمسائل الصفات الخبرية، وسلك طريقه صاحبه القاضي أبو يعلى، لكنه ألين منه وأبعد عن الزيادة في الإثبات.

أما أبو عبد الله بن بطة (٢) ، فطريقته طريقة المحدثين المحضة، كأبي بكر الآجُريّ في [الشريعة] واللالكائي في السنن، والخَلال مثله قريب منه، وإلى طريقته يميل الشيخ أبو محمد، ومتأخرو المحدثين"(٣)

ويقول "والإثبات في الجملة مذهب الصفاتية من الكُلاَّبِيَّة والأشعرية، والكَرَّامِيَّة وأهل الحديث، وجمهور الصوفية والحنبلية، وأكثر المالكية والشافعية، إلا الشاذ منهم، وكثير من الحنفية أو أكثرهم، وهو قول السلفية، لكن الزيادة في الإثبات إلى حد التشبيه هو قول الغالية من الرافضة، ومن جهال أهل الحديث، وبعض المنحرفين. وبين نفْي الجهمية، وإثبات المشبهة مراتب" (٤)

فابن تيمية يصرح في مواضع كثيرة بنفي لوازم الصفات يقول مثلا : "فكذلك هو سبحانه فوق العرش ، ولا نثبت لفوقيته خصائص فوقية المخلوق على المخلوق ولوازمها

---

١ - مجموع الفتاوى : ابن تيمية : جـــــــــ ٤ صـــــ ١٦٦

٢ - هو عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي، صاحب كتاب الإبانة الكبرى ، ولد سنة ٥٤٠٣، وتوفى سنة ٧٨٣هـ

٣ - مجموع الفتاوى : ابن تيمية : جـــــــــ ٦ صـــــــ ٥٢ ، ٥٣

٤ - مجموع الفتاوى : ابن تيمية : جـــــــ ٦ صـــــــ ٥١

ويقول أيضا : " أما استواء يليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شيء من اللوازم الثلاثة _ إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساويا _ كما يلزم سائر الأجسام " "(١)

ويقول أيضا : " إنه لا يزال فوق العرش ، ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله إلى السماء الدنيا ، ولا يكون العرش فوقه ، وكذلك يوم القيامة كما جاء به الكتاب والسنة ، وليس نزوله كنزول أجسام بني آدم من السطح إلى الأرض بحيث يبقى السقف فوقهم بل الله منزه عن ذلك "(٢)

وأرجو فقط أن يقارن هذا الكلام بكلام ابن تيمية نفسه في نفس الكتاب "وذلك أنه إذا ثبت التلازم، وعلم أن دخوهم على تقدير الوجود مستلزم لدخوهم على تقدير العدم: فالثابت أحد الأمرين: إما وجود الملزوم واللازم وهو دخوهم جميعا أو عدم اللازم والملزوم وهو عدم دخوهم جميعا، لأنه إذا وجد الملزوم وجد اللازم، وإذا عدم اللازم عدم الملزوم " (٣).

" ولا أدري كيف ساغ لا بن تيمية _ وهو الذي يدعي إحياء المذهب السلفي _ أن تتحول العقيدة إلى معنى جامد ، وهو يعلم تماما أن من يريد تحقيق الانتساب إليهم لم يكونوا كذلك . ألم يكن الأجدى للعقيدة أن تحفظ عن هذا اللغو الذي قد يطفئ نورها من القلوب ، وأن ينظر إلى المشكلة بنظر الإيمان والتسليم لا بنظر التفسير الظاهري ؟ لقد كان الغزالي متشربا لروح الإسلام الصحيح حين قرر أن هذا الحديث _ حديث النزول _ سيق لنهاية الترغيب في قيام الليل ، وله تأثير عظيم في تحريك الدواعي للتهجد الذي هو أفضل العبادات. ولم يأخذ من هذا

١ – مجموع الفتاوى : ابن تيمية جـ ٥ ص ٢٧
٢ – مجموع الفتاوى : ابن تيمية جـ ٥ ص ٤١٥
٣ – مجموع الفتاوى : ابن تيمية _ جـ ٢٠ ص ٢٨٢

الحديث حكما عقديا كما فعل ابن تيمية الأمر الذي يخول للباحث أن يقول في اطمئنان : إن موقف ابن تيمية ومن على شاكلته ، يسقط الحواجز بينهم وبين الذين يتبعون المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، ثم بعد ذلك ينكرون التأويل "(١)

ويعلق الشيخ / محمد أبو زهرة على كلام ابن تيمية بنصه يقول : "هذا كلام ابن تيمية بنصه ، ولا تتسع عقولنا لإدراك الجمع بين الإشارة الحسية بالأصابع والإقرار أنه في السماء ، وأنه يستوي على العرش ، وبين التنزيه المطلق عن الجسمية والمشابهة للحوادث

وإن التأويل بلا شك في هذا يقرب العقيدة إلى المدارك البشرية ، ولا يصح أن يكلف الناس مالا يطيقون ، وإذا كان ابن تيمية قد اتسع عقله للجمع بين الإشارة الحسية وعدم الحلول في مكان ، أو التنزيه المطلق ، فعقول الناس لا تصل إلى سعة أفقه إن كان كلامه مستقيما .

ومن الغريب أن ابن تيمية يغضب تلك الغضبات الشديدة ضد الذين يؤولون تلك النصوص ، أو على حد تعبيره يفسروها تفسيرا مجازيا باعتبار معنى (في السماء) هو العلو المعنوي ، والتقدير للرزق الذي لا يصل إليه أحد من الخلق ، الذي عبر عنه بقوله تعالى : "وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ"(٢)

وفي الوقت الذي يغضب فيه الغضب الشديد ويستنكر ذلك الاستنكار الشديد نراه يعتبر كل الأسماء الواردة في نعيم الجنة مجازية ، فيقول في ذلك : " قال ابن عباس ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء " فإن الله قد أخبر أن في الجنة خمرا ولبنا وماء وحريرا وذهبا وفضة وغير ذلك ونحن نعلم قطعا أن تلك الحقيقة ليست

١ – المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام : د/ محمد عبد الستار نصار – الجزء الثاني طبعة دار الفاروق ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م ص ١١٦.
٢ – سورة الذاريات : الآية ٢٢

مماثلة لهذه ، بل بينهما تباين عظيم مع التشابه ، كما في قوله تعالى : " وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا" (١) على أحد القولين أنه يشبه ما في الدنيا وليس مثله فأشبه أسماء تلك الحقائق أسماء هذه الحقائق ، كما أشبهت الحقائق الحقائق من بعض الوجوه فنحن نعلمها إذا خوطبنا بتلك الأسماء من جهة القدر المشترك بينهما ولكن لتلك الحقائق خاصة لا ندركها إلا في الدنيا ، ولا سبيل إلى إدراكنا لها لعدم إدراك عينها أو نظيرها من كل وجه .

فإذا كان يجري المجاز ويقبله في هذا المقام ، أفلا يكون من السائغ إجراء المجاز حتى تبعد عن كل نطاق الجسمية ، ومسارب الشك إلى النفس"(٢)

أما الفريق الآخر وهو من يثبت الصفة بلوازمها التي لم ترد في النص ، ويصرح بذلك فخير مثال على هذا الاتجاه : عثمان بن سعيد الدارمي حيث نجد في كلا كتابيه الكثير من ذلك دون تحرج وهو ما سنتعرف عليه بالتفصيل لكننا نعطي هنا أمثلة فقط على ما نقول :

فهو مثلا يذكر مع الاستواء القعود وأنه لا يفضل من العرش إلا أربعة أصابع، ويذكر أن للعرش والسماوات أطيطا من ثقل الجبار (٣) ويذكر أن رأس المنارة أقرب إلى الله من أسفلها (٤) ، وكذلك يثبت الحركة فيقول : " لأن أمارة ما بين الحي والميت التحرك . كل حي متحرك لا محالة ، وكل ميت غير متحرك لا محالة " (٥)

---

١ – سورة البقرة : من الآية ٢٥

٢ – ابن تيمية _ حياته وعصره آراؤه وفقهه: الشيخ / محمد أبو زهرة _ طبعة دار الفكر العربي بدون تاريخ صـــ ٢٢٨

٣ – الرد على المريسي : صـــ ٧٤

٤ – الرد على المريسي : صـــ ١٠٠

٥ – الرد على المريسي : صـــ ٢٠

ويكفي في الرد على الدارمي ماقاله إمام الحرمين الجويني : " وذهبت الكرّامية وبعض الحشوية إلى أن الباري تعالى عن قولهم ، متحيز مختص بجهة فوق ، تعالى الله عن قولهم. ومن الدليل على فساد ما انتحلوه أن المختص بالجهات يجوز عليه المحاذاة مع الأجسام ، وكل ما حازى الأجسام لم يخل من أن يكون مساويا لأقدارها ، أو لأقدار بعضها ، أو يحازيها منه بعضه ، وكل أصل قاد إلى تقدير الإله أو تبعيضه فهو كفر صراح . ثم ما يحازي الأجرام يجوز أن يماسها، وما جاز عليه مماسة الأجسام ومباينتها كان حادثا ، إذ سبيل الدليل على حدوث الجواهر قبولها للماسة والمباينة "(١)

ويقول "فإن قيل : هلا أجريتم الآية على ظاهرها من غير تعرض للتأويل، مصيرا إلى أنها من المتشابهات التي لا يعلم تأويلها إلا الله ، قلنا : إن رام السائل إجراء الاستواء على ما ينبئ عنه في ظاهر اللسان ، وهو الاستقرار فهو التزم التجسيم، وإن تشكك في ذلك كان في حكم المصمم على اعتقاد التجسيم ، وإن قطع باستحالة الاستقرار، فقد زال الظاهر ، والذي دعا إليه من إجراء الآية على ظاهرها لم يستقم له ، وإذا أزيل الظاهر قطعا فلا بد بعده في حمل الآية على محمل مستقيم العقول مستقر في موجب الشرع . والإعراض عن التأويل حذرا من موافقة محذور في الاعتقاد يجر إلى اللبس والإيهام ، واستزلال العوام، وتطريق الشبهات إلى أصول الدين ، وتعريض بعض كتب الله تعالى لرجم الظنون "(٢)

وقول ابن الجوزي الحنبلي " و رأيت من أصحابنا من تكلم فى الاصول بما لا يصلح ، و إنتدب للتصنيف ثلاثة ، ابو عبد الله بن حامد ، و صاحبه القاضى "أبو

---

١ – الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد : الجويني _تحقيق : د/ محمد يوسف موسى ، و/علي عبد المنعم عبد الحميد طبعة مكتبة الخانجي ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م صـــ ٣٩ ، ٤٠

٢ – الإرشاد : الجويني صـــ ٤١ ، ٤٢

يعلى" ، وابن الزاغونى ، فصنفوا كتباًشانوا بها المذهب ، و رأيتهم قد نزلوا الى مرتبه العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحس ، فسمعوا أن الله سبحانه و تعالى خلق آدم عليه الصلاة السلام على صورته ، فأثبتوا له صورة ، و وجهاً زائداً على الذات ، وعينين ، و فماً ، و لهوات ، و أضراساً ، و أضواء لوجهه هى السبحات، ويدين ، و أصابع ، و كفاً ، و خنصراً ، و إبهاماً ، و صدراً و فخذاً ، و ساقين، ورجلين ، و قالوا : ما سمعنا بذكر الرأس ، و قالوا : يجوز ان يمس و يمس ، و يدنى العبد من ذاته ، و قال بعضهم : ويتنفس ! ... ثم إنهم يرضون العوام بقولهم لا كما يعقل ، و قد أخذوا بالظاهر فى الاسماء و الصفات ، فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم فى ذلك من النقل ، و لا من العقل ، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعانى الواجبة لله تعالى ، و لا إلى إلغاء ما توجبه الظواهر من سمات الحدث ، و لم يقنعوا أن يقولوا صفة فعل حتى قالوا صفة ذات !... ثم لما اثبتوا أنها صفات قالوا : لا نحملها على توجيه اللغة مثل يد على نعمة و قدرة ، ولا مجيء و إتيان على معنى برّ و لطف ، ولا ساق على شدة ، بل قالوا بل نحملها على ظواهرها المتعارفة ، و الظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين ، والشىء إنما يحمل على حقيقتة إذا أمكن ، فإن صرف صارف حمل على المجاز ثم يتحرجون من التشبيه، و يأنفون من إضافته إليهم ، و يقولون : نحن أهل السنة ، و كلامهم صريح فى التشبيه ، و قد تبعهم خلق من العوام ، و قد نصحت التابع و المتبوع فقلت لهم : يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل و اتباع ، و إمامكم الأكبر أحمد بن حنبل يقول و هو تحت السياط : كيف أقول ما لم يقل ؟ فإياكم أن تبتدعوا فى مذهبه ما ليس منه ، ثم قلتم (الأحاديث تحمل على ظاهرها) ، فظاهر القدم الجارحة ، فإنه لما قيل فى عيسى عليه الصلاة و السلام ((روح الله)) اعتقد النصارى لعنهم الله تعالى أن لله تعالى صفة هى روح ولجت فى مريم .

ومن قال : استوى بذاته فقد أجراه سبحانه و تعالى مجرى الحسيات ، وينبغى ألا يهمل ما يثبت به الأصل و هو العقل ، فإنا به عرفنا الله تعالى وحكمنا له بالقدم، فلو أنكم قلتم نقرأ الأحاديث و نسكت لما أنكر أحد عليكم ، إنما حملكم إياها على الظاهر القبيح ، فلا تدخلوا فى مذهب هذا الرجل الصالح السلفى ما ليس منه، فلقد كسيتم هذا المذهب شيناً قبيحاً حتى صار لا يقال عن حنبلى إلا مجسم"(1).

١ – دفع شبه التشبيه بأكف التتريه : ابن الجوزي _ تحقيق الكوثري _ ضمن كتاب الأعمال الكاملة طبعة دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م ص ـــ ب ـ د

المبحث الثالث

موقف الدارمي من النصوص الموهمة للجهة :

المكان عند الحكماء هو : " السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوي "([1])

وعند المتكلمين : " هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم ، وينفذ فيه أبعاده"([2])"فالمكان بعد موهوم مفروض يشغله الجسم ويملأه على سبيل التوهم"([3]).

والمكان إن شغله جسم يسمى ملاء ، وإن لم يشغله جسم يسمى خلاء .

والجهة هي المكان إذا أضيف إلى مكان آخر . فهي أمر اعتباري ،أو إضافي . فنقول هذا عن يمين ذاك ، أو عن شماله ، إذا كان كل منهما في مكان محدد، والجهات ست معروفة ([4])

وقد وردت في القرآن الكريم والسنة المطهرة نصوص كثيرة يوهم ظاهرها تحيز الله في مكان أو جهة ما ، ومنها ما يفيد ظاهره إثبات العلو المكاني لله تعالى ومن هذه النصوص :

١ – النصوص الواردة بلفظ العلو مثل :

أ – قوله تعالى : (وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ)([5])

ب – قوله تعالى : (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى) ([1])

---

١ – التعريفات : الجرجاني _ طبعة مكتبة لبنان ١٩٨٥م صـــ ٢٤٤

٢ – التعريفات : الجرجاني : صـــ٢٤٥

٣ – كشاف اصطلاحات الفنون : التهانوي _ تقديم د/ رفيق العجم _ تحقيـــق :د/ علي دحروج طبعة مكتبة لبنان ناشرون الأولى ١٩٩٦م جـ٢ صـــ ١٦٣٥

٤ – اقتناص العوالي من اقتصاد الغزالي : د/ محمد ربيع محمد جوهري الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٩م صـــ ٩١

٥ – سورة البقرة : من الآية ٢٥٥

٢ – النصوص الواردة بلفظ الفوقية مثل :

أ – قوله تعالى : (وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ)([2])

ب_ قوله تعالى : (يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ)([3])

٣ – النصوص الواردة بلفظ الاستواء مثل:

أ – قوله تعالى : (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) ([4])

ب _ قوله تعالى : (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ)([5])

٤ – النصوص الواردة بلفظ الصعود والرفع والعروج مثل :

أ – قوله تعالى : (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)([6])

ب _ قوله تعالى : (بَل رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ)([7])

ج _ قوله تعالى : (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ)([8])

هذا بالإضافة إلى كثير من الأحاديث الواردة بهذه الألفاظ أو ببعضها .

وقد كثر النزاع حول تفسير هذه الألفاظ :

١– فالسلف رضوان الله عليهم مذهبهم _ وهذا سنجده مكررا في أمثال هذه النصوص _ عدم التعرض لتفسير هذه النصوص .

---

١ – سورة الأعلى : الآية ١

٢ – سورة الأنعام : من الآية ١٨

٣ – سورة النحل : من الآية ٥٠

٤ – سورة طه : الآية ٥

٥ – سورة البقرة : من الآية ٢٩

٦ – سورة فاطر : من الآية ١٠

٧ – سورة النساء : من الآية ١٥٨

٨ – سورة المعارج : من الآية ٤

يقول ابن تيمية : " وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات " (١)

ويقول الإمام البيهقي في قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ (٢)، وقوله تعالى : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ (٣) : " وحكينا عن المتقدمين من أصحابنا ترك الكلام في أمثال ذلك ، هذا مع اعتقادهم نفي الحد والتشبيه والتمثيل عن الله سبحانه وتعالى " (٤)

وينقل الإمام الذهبي عن وكيع أنه قال : " وكان إسماعيل ابن أبي خالد والثوري ومسعر يروون هذه الأحاديث لا يفسرون منها شيئا " (٥)

وينقل أيضا عن الوليد بن مسلم أنه قال : " سألت الأوزاعي ومالك بن أنس وسفيان الثوري والليث بن سعد عن الأحاديث التي فيها الصفات ؟ فكلهم قالوا لي : أمروها كما جاءت بلا تفسير " (٦)

وينقل عن ابن سريج أنه قال : " حرام على العقول أن تمثل الله ، وعلى الأوهام أن تحده ، وعلى الألباب أن تصف إلا ما وصف به نفسه في كتابه ، أو على لسان رسوله ، وقد صح عن جميع أهل الديانة والسنة إلى زماننا أن جميع الآي والأخبار الصادقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجب على المسلمين الإيمان بكل واحد منه كما ورد ، وأن السؤال عن معانيها بدعة ، والجواب كفر وزندقة

---

١ – مجموع الفتاوى : ابن تيمية جـ ٥ صـ ١١٧

٢ – سورة النحل : من الآية ٥٠

٣ – سورة طه : الآية ٥

٤ – الأسماء والصفات : البيهقي صـ ٤٢٦

٥ – مختصر العلو : الذهبي صـ ١٥٠

٦ – مختصر العلو : الذهبي _ صـ ١٤٢

،مثل قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ (٢) وقوله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٣) ، ونظائرها مما نطق به القرآن كالفوقية ،والنفس ، واليدين والسمع ، والبصر ، وصعود الكلم الطيب إليه ، والضحك ، والتعجب، والنزول، إلى أن قال : اعتقادنا فيه وفي الآي المتشابهة أن نقبلها ولا نردها، ولا نتأولها بتأويل المخالفين ،ولا نحملها على تشبيه المشبهين ، ولا نترجم عن صفاته بلغة غير العربية، ونسلم الخبر الظاهر والآية لظاهر تنزيلها " (٤)

٢- وذهب أغلب المتأخرين إلى تأويل كل النصوص الواردة في العلو ، والفوقية ، وصرفوا كل لفظ ورد في هذا إلى معنى يحتمله اللفظ ،فالإمام الجويني مثلا يفسر الاستواء بالاقتدار والقهر والغلبة فيقول : " فذهب بعضهم إلى أن المراد بالاستواء الاقتدار والقهر والغلبة ، وذلك سائغ في اللغة شائع فيها ، إذ القائل يقول : استوى الملك على الإقليم إذا احتوى على مقاليد الملك فيه "(٥)

ويقول : " ومما يسأل عنه من ظواهر القرآن قوله تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ (٦) وقوله تعالى : ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ (٧) ، وربما توهم بعض الحشوية أن لهم في الآية مستروحا في إثبات الاختصاص بالجهات ، وليس الأمر

---

١ – سورة البقرة : من الآية ٢١٠

٢ – سورة طه : الآية ٥

٣ – سورة الفجر : الآية ٢٢

٤ – مختصر العلو : الذهبي صـ ٢٢٦ ، ٢٢٧

٥ – الشامل في أصول الدين : الجويني _ حققه وقدم له : د/ على سامي النشار ، ود/ فيصل بدير عون ، ود/ سهير محمد مختار طبعة منشأة المعارف ١٩٦٩م صـ ٥٥٣

٦ – سورة فاطر : من الآية ١٠

٧ – سورة المعارج : من الآية ٤

على ما قدروه . قال : المعنى بقوله : ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ أي يعرجون إلى حيث يأمرهم متقربين إليه مستسلمين لأمره وشاهد ذلك من كتاب الله قوله : ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ﴾(١) وليس المراد بذلك طيّ المسافة إليه وإثبات قرب الذوات . وهذا مما لا خفاء فيه "(٢)

وقد عقد الجويني في كتابه الشامل في أصول الدين بابا تحت عنوان : في ذكر تأويل جمل من ظواهر الكتاب والسنة(٣) أورد فيه كثيرا من الظواهر مع بيان تأويلاتها ، ومناقشة المخالفين في ذلك .

بل إننا نجد أن كثيرا ممن يتحرجون من التأويل قد مالوا إلى تأويل هذه الألفاظ ، ومنهم مثلا : ابن كثير حيث يقول : " ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾(٤) أي هو الذي خضعت له الرقاب ، وذلّت له الجبابرة ، وعنت له الوجوه ، وقهر كل شيء ، ودانت له الخلائق ، وتواضعت لعظمة جلاله وكبريائه وعظمته وعلوّه وقدرته على الأشياء ، واستكانت وتضاءلت بين يديه ، وتحت قهره وحكمه"(٥)

يقول الدكتور / محمد عبد الله دراز في تعليقه على حديث الجارية : " تقدم نظير هذا في الحديث الذي قبله . غير أن الركن الأول هنا فيه شبهة ، إذ ظاهره إثبات الجهة المحددة الحاصرة التي لا يقول بها أحد ، فقد أجمع السلف على أن الظرفية في قوله تعالى : ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾(٦) مصروفة عن ظاهرها مؤولة

---

١ – سورة النساء : من الآية ١٠٠

٢ – الشامل في أصول الدين : الجويني _ صـ ٥٤٦ ، ٥٤٧

٣ – الشامل في أصول الدين : الجويني _ صـ ٥٤٣_ ٥٧٠

٤ – سورة الأنعام : من الآية ١٨

٥ – تفسير ابن كثير : جـ ٢ صـ ١١٩

٦ – سورة الملك : من الآية ١٦

بمعنى أنه على السماء لا فيها وإن اختلفوا بعد ذلك في معنى العلو ، فقال المتأخرون : إنه علو الشأن بالقهر والسلطان " . كما تقول : "فلان مكانه في السماء أو فوق السماء" تعني شرفه ورفعته . ونزّهوه عن أن يكون في جهة حسية أصلا ، لأن من لوازم الجهة الحدود والكميات . وقال السلف : إنه علوّ لا يحدده ولا يكيفه ولا يشبه به أحدا من المخلوقين ، ولا نخوض في تحديد معناه بأكثر من ذلك"(١)

مذهب الدارمي :

يذهب الدارمي إلى إثبات المكان والجهة ، بل ويصرح ببعض لوازمهما ويبدأ أولا بقوله : " فالله تبارك وتعالى فوق عرشه بائن من خلقه ، فمن لم يعرفه بذلك لم يعرف إلهه الذي يعبد، وعلمه من فوق العرش بأقصى خلقه وأدناهم واحد لا يبعد عنه شيء"(٢)

ويقول : " وأما قولك إن الله لم يصف نفسه أنه في موضع دون موضع. فإن كنت أيها المعارض ممن يقرأ كتاب الله وتفهم شيئا من العربية علمت أنك كاذب على الله في دعواك ، لأنه وصف نفسه أنه في موضع دون موضع ، ومكان دون مكان . ذكر أنه فوق العرش ، والعرش فوق السموات . قد عرف ذلك كثير من النساء والصبيان فكيف من الرجال ؟" (٣)

ويقول : " وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء، وحدّوه بذلك إلا المريسي الضالّ وأصحابه ، حتى الصبيان الذين لم يبلغوا الحنث

---

١ - المختار من كنوز السنة : د/ محمد عبد الله دراز عنى بنشره : عبد الله بن إبراهيم الأنصاري طبعة قطر صـ ٣٧٧ ، ٣٧٨

٢ - الرد على المريسي : الدارمي صـ

٣ - الرد على المريسي : الدارمي صـ ٨٠

قد عرفوه بذلك ، إذا حزب الصبيّ شيء يرفع يديه إلى ربه يدعوه في السماء دون ما سواها فكل أحد بالله وبمكانه أعلم من الجهمية "(١)

ويقول : "ومن لم يعرف أن إلهه فوق عرشه ، فوق سمواته ، فإنما يعبد غير الله ، ويقصد بعبادته إلى إله في الأرض ، ومن قصد بعبادته إلى إله في الأرض كان كعابد وثن . لأن الرحمن على العرش ، والأوثان في الأرض" (٢)

ويقول : : "وقد بلغنا أنهم حين حملوا العرش وفوقه الجبار في عزته وبهائه ضعفوا عن حمله واستكانوا ، وجثوا على ركبهم ، حتى لقّنوا "لا حول ولا قوة إلا بالله" فاستقلوا به بقدرة الله وإرادته . لولا ذلك ما استقل به العرش ، ولا الحملة ، ولا السموات ، ولا الأرض ، ولا من فيهن . ولو قد شاء لاستقر على ظهر بعوضة، فاستقلت به بقدرته ولطف ربوبيته . فكيف على عرش عظيم أكبر من السموات السبع والأرضين السبع ، وكيف تنكر أيها النفاج أن عرشه يقلّه ، والعرش أكبر من السموات السبع والأرضين السبع ؟ ولو كان العرش في السموات والأرضين ما وسعته . ولكنه فوق السماء السابعة " (٣)

وقد أورد في ذلك أخبارا غريبة مثل :

– ما رواه بسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن كرسيه وسع السموات والأرض ، وإنه ليقعد عليه فما يفضل منه إلا أربع أصابع _ ومدّ أصابعه الأربع _ وإن له أطيطا كأطيط الرحل الجديد إذا ركبه من يثقله "(٤)

– ومثل ما يرويه عن كعب أنه قال : " فما في السموات سماء إلا لها أطيط كأطيط الرحل العلافي أول ما يرتحل من ثقل الجبار فوقهن " (٥)

---

١ – الرد على المريسي : الدارمي صـــــ ٢٥
٢ – الرد على المريسي : الدارمي صـــــ ٩٥
٣ – الرد على المريسي : الدارمي صـــــ ٨٥
٤ – الرد على المريسي : الدارمي _ صـــــ ٧٤
٥ – الرد على الجهمية : الدارمي صـــــ ٤٩

"فيقال لهذا المعارض ما لا علم به : من أنبأك أن رأس الجبل ليس بأقرب إلى الله من أسفله ، لأنه من آمن بأن الله فوق عرشه فوق سمواته علم يقينا أن رأس الجبل أقرب إلى السماء من أسفله ، وأن السماء السابعة أقرب إلى عرش الله من السادسة ، والسادسة أقرب إليه من الخامسة ، ثم كذلك إلى الأرض . كذلك روى إسحاق بن إبراهيم الحنظلي عن ابن المبارك أنه قال : " رأس المنارة أقرب إلى الله من أسفلها .وصدق بن المبارك لأن كل ماكان إلى السماء أقرب كان إلى الله أقرب "(١)

ويقول : " وكيف يهتدي بشر (أي المريسي) وهو لا يعرف مكان واحده"(٢) بل يقول إن الله يدرك بالحواس : "ولا يجوز لأحد أن يتأول في التوحيد غير الصواب : أن جميع خلق الله يدرك بالحواس الخمس : اللمس ، والشم ، والذوق ، والبصر بالعين ، والسمع. والله بزعم المعارض لا يدرك بشيء من هذه الخمس "(٣)

ويؤكد على هذه الفرية بقوله : " ولمن تأول في التوحيد الصواب لقد تأولت أنت فيه غير الصواب إذ ادعيت أن الله لا يدرك بشيء من هذه الحواس الخمس ، إذ هو في دعواك لا شيء . والله مكذب من ادعى هذه الدعوى في كتابه إذ يقول عز وجل: ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيماً ﴾(٤) ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾(٥) ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٦) . فأخبر الله تعالى في كتابه أن موسى أدرك منه الكلامَ بسمعه . وهو أحدَ الحواس عندك وعندنا . ويدرك في الآخرة بالنظر إليه بالأعين ، وهي الحاسة الثانية كما قال الله تعالى : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ (٧) " (٨)

---

١ – الرد على المريسي : الدارمي صـــــ ١٠٠
٢ – الرد على المريسي : صـــــ ٤
٣ – الرد على المريسي : صـــ ٥
٤ – سورة النساء : من الآية ١٦٤
٥ – سورة البقرة : من الآية ١٧٤
٦ – سورة القيامة : الآيتان ٢٢ ، ٢٣
٧ – سورة القيامة : الآيتان ٢٢ ، ٢٣
٨ – الرد على المريسي : الدارمي صـــــ ٦

يقول الإمام الإسفراييني بعد أن نفى المكان والجهة والأينية عن الله :

"واعلم أن جميع ما ذكرناه من اعتقاد أهل السنة والجماعة فلا خلاف في شيء منه بين الشافعي وأبي حنيفة رحمهما الله ، وجميع أهل الرأي والحديث مثل مالك والأوزاعي وداود والزهري والليث بن سعد وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة ويحيى بن معين وإسحاق بن راهويه ومحمد بن اسحق الحنظلي ومحمد بن أسلم الطوسي ، ويحيى بن يحيى ، والحسين بن الفضل البجلي ، وأبي يوسف ، ومحمد ، وزفر ، وأبي ثور ، وغيرهم من أئمة الحجاز ، والشام ، والعراق، وأئمة خراسان ، وماوراء النهر ، ومن تقدمهم من الصحابة ، والتابعين ، وأتباع التابعين . ومن أراد أن يتحقق أن لا خلاف بين الفريقين في هذه الجملة فلينظر فيما صنفه أبو حنيفة رحمه الله في الكلام ...... ولينظر فيما صنفه الشافعي فلن يجد بين مذهبيهما تباينا بحال .

وكل ما حكي عنهم خلاف ما ذكرناه من مذاهبهم فإنما هو كذب يرتكبه مبتدع ترويجا لبدعته . ومن لا يبالي أن يتدين بما لا حقيقة له في دينه لا يبالي نسبة الخرافات إلى أئمة الدين لأن من كذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم لا يبالي أن يكذب على أئمة المسلمين ، وقد نبغ من أحداث أهل الرأي من تلبس بشيء من مقالات القدرية والروافض مقلدا فيها . وإذا خاف سيوف أهل السنة نسب ما هو فيه من عقائده الخبيثة إلى أبي حنيفة تسترا به، فلا يغرنك ما ادعوه من نسبتها إليه فإن أبا حنيفة برئ منهم ومما نسبوه إليه ، والله تعالى يعصم أهل السنة من جميع ما ينسبه إليهم أهل الغواية والضلال"[1]

---

١ – التبصير في الدين وتميز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين :أبو المظفر الإسفراييني – تحقيق / كمال يوسف الحوت طبعة عالم الكتب الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م ص١٨٢–١٨٥

المبحث الرابع

موقف الدارمي من النصوص الموهمة للتركيب والتجسيم:

وردت عشرات النصوص الصحيحة والتي توهم بظاهرها نسبة التجسيم ، والتركيب ، بل والأعضاء والجوارح إلى الله سبحانه وتعالى وحاشاه .

ومن نماذج هذه النصوص: ما ورد عن كلمة الوجه، والعين ، واليد ، والساق ، والقدم ، والجنب ، والصورة ، والنفس ، والروح مضافة إلى الله عز وجل .

وحتى لا يطول بنا الكلام سنعطى بعض الأمثلة ، ثم نوجز آراء العلماء في دلالة هذه الإضافة ، وأخيرا نتكلم عن موقف الدارمي منها :

_ فقد وردت كلمة الوجه مضافة إلى الله تعالى في كثير من النصوص الصحيحة منها :

قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾[1] وقوله تعالى :﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[2] ، وقوله : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾[3]

_ كما وردت كلمة (عين) مضافة إلى الله تعالى مفردة ومجموعة في القرآن الكريم في عدة مواضع منها :

قوله تعالى : ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾[1] ، وقوله تعالى عن الفلك أيضا :﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[3]

---

١ – سورة القصص : من الآية ٨٨

٢ – سورة الرحمن : الآية ٢٧

٣ – سورة البقرة : من الآية ١١٥

٤ – سورة هود : من الآية ٣٧

ـ كما وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بعض النصوص التي تضيف اليد إلى الله تعالى مفردة ومثناة ومجموعة منها مثلا :

قوله تعالى : ﴿يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(٤) ،وقوله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾(٥) وقوله تعالى : ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ (٦)

ـ كما ورد في إضافة القدم إلى الله تعالى أحاديث متقاربة اللفظ والمعنى منها ما رواه البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فتقول : قط قط) وفي رواية للبخاري أيضا: (فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول : قط قط فهنالك تمتلئ ويزوي بعضها إلى بعض)(٧)

ـ كما وردت لفظة (الجنب) مضافة إلى الله تعالى في آية واحدة هي قوله تعالى : ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ (٨)

ـ كما وردت لفظة (الصورة) مضافة إلى الله تعالى في بعض الأحاديث ومنها

---

١ – سورة المؤمنون : من الآية ٢٧

٢ – سورة القمر : من الآية ١٤

٣ – سورة طه : من الآية ٣٩

٤ – سورة الفتح : من الآية ١٠

٥ – سورة المائدة : من الآية ٦٤

٦ – سورة الذاريات : الآية ٤٧

٧ – فتح الباري : جـ ٨ ص ٥٩٤، ٥٩٥

٨ – سورة الزمر : الآية ٥٦

حديث طويل للبخاري جاء فيه قوله صلى الله عليه وسلم : (فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول : أنا ربكم . فيقولون : أنت ربنا)(١)

كما وردت بعض النصوص بإضافة النفس إليه تعالى منها :

قوله تعالى : ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾(٢) وقوله تعالى : ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾(٣) ، وقوله تعالى : ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ (٤) وغيرها .

أما موقف العلماء من هذه النصوص فنبدأه بموقف السلف رضوان الله عليهم ويتمثل في التفويض بالسكوت مع إيراد النصوص المتعلقة بها لا غير كما فعل ابن كثير ـ رحمه الله مثلا فهو يقول في قوله تعالى : ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥)

يقول : " وقد وردت أحاديث كثيرة متعلقة بهذه الآية الكريمة والطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف "(٦)

مع التصريح بأن ظاهرها ليس مرادا كما فعل الإمام النووي مثلا ونسب ذلك إلى جماهير السلف وطوائف من المتكلمين (٧)

يقول ابن حجر العسقلاني : " واختلف في المراد بالقدم فطريق السلف في هذا وغيره مشهور وهو أن تمر كما جاءت ولا يتعرض لتأويله بل نعتقد استحالة ما

---

١ – فتح الباري : جـ ٤ ص ١٤٠

٢ – سورة آل عمران : من الآية ٢٨

٣ – سورة الأنعام : من الآية ١٢

٤ – سورة طه : الآية ٤١

٥ – سورة الزمر : الآية ٦٧

٦ – تفسير ابن كثير : جـ ٤ ص ٦٣

٧ – صحيح مسلم بشرح النووي : جـ ١٢ ص ٢١١ ، ٢١٢ ، جـ ١٦ ص ٢٠٤

يوهم النقص على الله " وقد علق محب الدين الخطيب على قول ابن حجر هذا بقوله :" وهذا هو الصواب الذي كان عليه سلف الأمة من الصحابة إلى الأئمة المتبوعين " (١)

وأما موقف الخلف رضوان الله عليهم وهم جمهور أهل السنة والجماعة ومعهم كثير من السلف أيضا فقد ذهبوا إلى " وجوب الإيمان بهذه النصوص ، وتنزيه الله عن الجسمية ولوازمها ، ويؤولونها تأويلا يتفق مع تنزيه الله ، وع قوله : ﴿لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾(٢) فلغة العرب فيها الحقيقة ، وفيها المجاز المختلف الأنواع وقد نزل القرآن بها ، فلا بد من فهمه على قواعدها "(٣)

فهم قد نفوا الجسمية والتركيب عن الله سبحانه وتعالى ، ولابد مع هذا النفي أن ينفوا أيضا الأعضاء والجوارح عنه ،لذلك فقد أولوا كل لفظة بما يناسب سياق ورودها ، لأن كل لفظة تحمل محملا غير ما تحمله في نص آخر .

ومن أمثلة التأويلات :

تأويل الوجه بالقبلة والجهة التي أمرنا الله بالتوجه إليها وذلك في قوله تعالى : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ ﴾(٤) وهو قول ابن عباس _ رضي الله عنهما _ ، وعكرمة ، ومجاهد والشافعي ، وحتى ابن تيمية نفسه يقول في هذه الآية : " قد قال مجاهد والشافعي : يعني قبلة الله ، فقلت : نعم هذا صحيح عن مجاهد والشافعي وغيرهما وهذا حق " (٥)

---

١ – فتح الباري : جـ ٨ صـ ٥٩٦

٢ _ سورة الشورى : من الآية ١١

٣ – عقيدتنا : د/ محمد ربيع محمد جوهري _ الطبعة العاشرة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م جـ ١ صـ ١٣٧

٤ – سورة البقرة : من الآية ١١٥

٥ – مجموع الفتاوى : جـ ٣ صـ ١٩٣

ومنها تأويل الوجه بالذات وهو المروي عن الضحاك وأبي عبيدة كما نقله عنهما ابن الجوزي (١) وهو اختيار ابن كثير حيث يقول في قوله تعالى : ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾(٢) فعبر بالوجه عن الذات وهكذا قوله تعالى : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾(٣) أي إلا إياه " (٤)

ومنها تأويل العين بالرعاية والعناية فهذا ابن جرير الطبري رحمه الله يقول في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾(٥) " يقول جل ثناؤه : فإنك بمرأى منا ونرى عملك، ونحن نحوطك ونحفظك " (٦)

ونكتفي هنا بما أوردناه من أمثلة على التأويل ، فكما سبق القول إن هذا هو رأي جمهور أهل السنة من السلف والخلف ومن أهل الحديث ومن أهل الرأي .

وقد نقل أحد الباحثين أقوال ثلاثين مفسرا في تفسير هذه الآيات ليس من بينهم واحد حملها على ظاهرها منهم (٧)

وأما ابن تيمية وابن القيم _رحمهما الله تعالى _ ومن وافقهما فقد ذهبوا إلى إثبات هذه الصفات على ظواهرها .

فابن خزيمة مثلا يعقد أبوابا عدة لذكر هذه الصفات يقول مثلا : باب ذكر إثبات وجه الله الذي وصفه بالجلال والإكرام في قوله : ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذو

---

١ – دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه : صـ ١١٣

٢ – سورة الرحمن : الآية ٢٧

٣ – سورة القصص : من الآية ٨٨

٤ – تفسير ابن كثير : جـ ٣ صـ ٣٨٩

٥ – سورة الطور : من الآية ٤٨

٦ – تفسير الطبري : جـ ٢٧ صـ ٣٧

٧ – المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات : محمد بن عبد الرحمن المغراوي طبعة مؤسسة الرسالة الأولى ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م

ٱلْجَلَالِ وَٱلْإِكْرَامِ (١)

ثم يقول فيه : " ونصدق بذلك بقلوبنا من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين "(٢) ويقول عن العين :

" فبين النبي صلى الله عليه وسلم أن لله عينين ، فكان بيانه موافقا لبيان محكم التنزيل ، الذي هو مسطور بين الدفتين ، مقروء في المحاريب والكتاتيب "

ويقول : "نحن نقول لربنا الخالق عينان يبصر بهما "(٣)، ويقول عن اليد " والبيان أن الله تعالى له يدان كما أعلمنا في محكم تنزيله أنه خلق آدم عليه السلام بيديه "(٤)

بل ويثبت ابن خزيمة الأصابع فيقول :باب إثبات الأصابع لله عز وجل(٥)

بل ذكر ابن خزيمة دليلا غريبا جدا على إثباته لهذه الصفات يقول : "قال الله عز وجل يذكر ما يدعو بعض الكفار من دون الله (أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ)(٦) فأعلمنا ربنا ـ جل وعلا ـ أن من لا رجل له ولا يد ولا عين ولا سمع فهو كالأنعام بل هو أضل "(٧)

---

١ – سورة الرحمن : الآية ٢٧

٢ – التوحيد وإثبات صفات الرب : ابن خزيمة ـ دراسة وتحقيق : د/ عبد العزيز إبراهيم الشهوان طبعة دار الرشد الرياض جـ ٢ صـ ٢٢ ، ٢٦

٣ – التوحيد وإثبات صفات الرب : ابن خزيمة صـ ٩٧ ، ١١٤

٤ – التوحيد وإثبات صفات الرب : ابن خزيمة صـ ١١٨

٥ ـ التوحيد وإثبات صفات الرب : ابن خزيمة صـ ١٨٧

٦ – سورة الأعراف : من الآية ١٩٥

٧ – التوحيد وإثبات صفات الرب : ابن خزيمة صـ ٢٠٢

أما ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ـ رحمهما الله تعالى ـ فأقوالهما في إثبات هذه الصفات أكثر من أن تحصى ، بل إنك لا تكاد تجد كتابا لابن تيمية وتلميذه ابن القيم إلا وفيه ذكر هذه المسألة .

موقف الدارمي :

ونأتي إلى الدارمي الذي عقد فصولا في كتابه لإثبات هذه الصفات ، بل وإثبات لوازمها في كثير من الأحيان :

فقد عقد مبحثا لإثبات الوجه صفة لله تعالى حشد فيه أغلب النصوص التي ورد فيها لفظ الوجه مضافا إلى الله تعالى (١)

وكذلك قال عن العين " ففي تأويل قول الرسول صلى الله عليه وسلم (إن الله ليس بأعور " بيان أنه بصير ذو عينين خلاف الأعور " (٢)

وكذلك فعل بالنسبة لليدين والأصابع(٣) فقد أثبت الأصابع صفة لله ؟؟ وذكر عدة آثار تحت عنوان (أصابع الرحمن)(٤)

غير أنه زاد هنا مع اليدين المس فنراه يقول : " إنه ولي خلق الأشياء بأمره وقوله وإرادته ، وولي خلق آدم بيده مسيسا لم يخلق ذا روح بيده غيره فلذلك خصه به وفضله وشرّف بذلك ذكره لولا ذلك ما كانت فضيلة في ذلك على شيء من خلقه إذ كلهم خلقوا بغير مسيس"(٥) بل وأكد هذا المسيس أكثر من مرة حتى قال : " ولو لم يكن لله يدان بهما خلق آدم ومسه بهما مسيسا ـ كما ادعيت ـ لم

---

١ - الرد على المريسي : الدارمي ـصـ ١٥٧ وما بعدها

٢ - الرد على المريسي : الدارمي صـ ٤٨

٣ - الرد على المريسي : الدارمي صـ ٥٩

٤ - الرد على المريسي : الدارمي صـ ٥٩

٥ - الرد على المريسي : الدارمي صـ ٢٥

يجز أن يقال (بِيَدِكَ الْخَيْرُ)(١)و (إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ)(٢)،(تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ)(٣) "(٤)

وينقل الدارمي عدة آثار كما يقول في المسيس : أولها : " خلق الله أربعة أشياء بيده : العرش والقلم وعدن وآدم . ثم قال لسائر الخلق كن فكان " والثاني : إن الله لم يمس شيئا من خلقه غير ثلاث : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده "(٥)

وكذلك يثبت صفة القدم (٦) يقول مثلا : " الكرسي موضع القدمين "(٧)

وانظر إلى هذا الاستدلال الغريب على صفة اليد _ كما يقول : " فيقال لهذا الضال المضل : أليس قد زعمت أن الله لا يشبه بشيء من خلقه ، ولا يتوهم الرجل في صفاته ما يعقل مثله في نفسه . فكيف تشبه الله في يديه اللتين خلق بهما آدم بأقطع مجزوم اليدين من المنكبين ؟ وتتوهم في قياس يد الله ما تعقلته في ذلك المجذوم المقطوع ، وتتوهم ذلك ؟ فقد توهمت أقبح ما عبت على غيرك إذ ادعيت أن الله لا يد له كالأقطع المقطوع اليدين من المنكبين " (٨)

بل انظر إلى هذا الجفاء في العبارة : " وادعى المريسي أيضا في قول الله: " (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)(٩)(وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)(١٠) أنه يسمع الأصوات ، ويعرف

١ – سورة آل عمران : من الآية ٢٦

٢ – سورة آل عمران : من الآية ٧٣

٣ – سورة الملك : من الآية ١

٤ – الرد على المريسي : الدارمي صـــ ٢٩

٥ – الرد على المريسي : الدارمي صـــ ٣٥

٦ – الرد على المريسي : الدارمي صـــ ٦٦

٧ – الرد على المريسي : الدارمي صـــ ٦٧ وما بعدها

٨ – الرد على المريسي : الدارمي صـــ ٢٧

٩ – سورة الحج : من الآية ٧٥

١٠ – سورة آل عمران : من الآية ١٥

الألوان ، بلا سمع ولا بصر ، وأن قوله (بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ) بمعنى عالم بهم، لا أنه يبصرهم ببصر ، ولا ينظر إليهم بعين . فقد يقال للأعمى : ما أبصره، أي ما أعلمه ، وإن كان لا يبصر بعين .

فيقال لهذا المريسي الضال : الحمار والكلب أحسن حالا من إله على هذه الصفة . لأن الحمار يسمع ، ويرى الألوان بعين . وإلهك بزعمك أعمى أصم ، لا يسمع بسمع ولا يبصر ببصر ، ولكن يدرك الصوت كما تدرك الحيطان والجبال التي ليست لها أسماع "(١)

ويقول : "يعني إبراهيم أن إلهه بخلاف الصنم يسمع بسمع ويبصر ببصر. ولو كان على ما تأولت أيها المريسي لقال أبو إبراهيم لإبراهيم : فإلهك أيضا لا يسمع بسمع ولا يبصر ببصر . وكذلك قال في أصنام العرب (أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا ؟ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا ؟ أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا؟)(٢) يعني أن الله بخلافهم ، له يد يبطش بها ، وله أعين يبصر بها ، وسمع يسمع به"(٣)

غير أني رأيت الدارمي _ وهذا شيء عجيب منه _ يؤول لفظ (الجنب) فيقول وهو يرد على التهمة التي وجهها المريسي لبعض أهل الحديث : " وادعى المعارض أيضا زورا على قوم أنهم يقولون في تفسير قول الله : (يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ)(٤) قال : يعنون بذلك الجنب الذي هو العضو ، وليس على ما يتوهمونه . فيقال لهذا المعارض : ما أرخص الكذب عندك وأخفه على لسانك فإن كنت صادقا في دعواك فأشر بها إلى أحد من بني آدم قاله ، وإلا فلم

١ - الرد على المريسي : الدارمي صـــ ٤١ ، ٤٢

٢ - سورة الأعراف : من الآية ١٩٥

٣ - الرد على المريسي : الدارمي صـــ ٤٤

٤ - سورة الزمر : من الآية ٥٦

تشنع بالكذب على قوم هم أعلم بهذا التفسير منك ، وأبصر بتأويل كتاب الله منك ومن إمامك . إنما تفسيره عندهم : تحسر الكفار على ما فرطوا في الإيمان والفضائل التي تدعوا إلى ذات الله تعالى ، واختاروا عليها الكفر والسخرية بأولياء الله فسماهم الساخرين فهذا تفسير الجنب عندهم فمن أنبأك أهم قالوا جنب من الجنوب " (١)

ورأيت له أيضا _ وهذا أعجب مما سبق _ إنكاره للأعضاء والجوارح كما يقول مثلا : " وأما تكريرك وتهويلك علينا بالأعضاء والجوارح فهذا ما لا يقوله مسلم " (٢)

ويقول : " وأما دعواك أنهم _ أي أهل الحديث _ يقولون جارحة مركبة فهذا كفر لا يقوله أحد من المصلين ، ولكنا نثبت له السمع والبصر والعين بلا تكييف كما أثبته لنفسه فيما أنزل من كتابه وأثبته له الرسول . وهذا الذي تكرره مرة بعد مرة جارحة وعضو وما أشبهه حشو وخرافات وتشنيع لا يقوله أحد من العالمين "(٣)

ويقول : " ما رأينا أحدا يصفه بالأجزاء والأعضاء جل عن هذا الوصف تعالى" (٤)

ويقول أيضا : " وأما قولك : إن الله غير محوي ولا ملازق ولا ممازج فهو كما ادعيت " (٥)

---

١ – الرد على المريسي : الدارمي ص___ ١٨٤

٢ – الرد على المريسي : الدارمي ص___ ١٥٩

٣ – الرد على المريسي : الدارمي ص___ ١٥٢

٤ – الرد على المريسي : الدارمي ص___ ١٠٤

٥ – الرد على المريسي : الدارمي _ ص___ ٧٩

ويكفي للرد على الدارمي فيما أثبته من صفات كما يقول كلامه نفسه ، وإن أراد أحد المزيد زدناه :

فهذا الآمدي _ رحمه الله _ يقول : "ولعل الخصم قد يتمسك هاهنا بظواهر من الكتاب والسنة وأقوال بعض الأئمة ، وهي بأسرها ظنية لا يسوغ استعمالها في المسائل القطعية " (١) .

وانظر إلى قول الإمام الغزالي _ رحمه الله _ : " فإن خطر بباله أن الله جسم مركب من أعضاء فهو عابد لصنم فإن كل جسم فهو مخلوق ، وعبادة المخلوق كفر . وعبادة الصنم كانت كفرا لأنه مخلوق ، وكان مخلوقا لأنه جسم فمن عبد جسما فهو كافر بإجماع الأئمة السلف منهم والخلف " (٢)

ويناقش الباقلاني _ رحمه الله _ من يقول بنسبة الأعضاء إلى الله سبحانه يقول : " لو كان القديم سبحانه ذا أبعاض مجتمعة لوجب أن تكون أبعاضه قائمة بأنفسها ومحتملة للصفات ، ولم يخل كل بعض منها أن يكون حيا عالما قادرا أو غير حي ولا عالم ولا قادر ، فإن كان واحد منها فقط هو الحي العالم القادر دون سائرها وجب أن يكون ذلك البعض منه هو الإله المعبود المستوجب للشكر دون غيره ، وهذا يوجب أن تكون العبادة والشكر واجبين لبعض القديم سبحانه دون جميعه ، وهذا كفر من قول الأمة كافة ، وإن كانت سائر أبعاضه حية عالمة قادرة وجب جواز تفرد كل شيء منها بفعل غير فعل صاحبه ، وأن يكون كل واحد منها إله " (٣)

---

١ – غاية المرام : الآمدي ص___ ٢٠٠

٢ – إلجام العوام عن علم الكلام : الإمام الغزالي ص___٣

٣ – التمهيد : أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني _ تحقيق الأب رتشرد يوسف مكارثي طبعة المكتبة الشرقية.بيروت ١٩٥٧م ص___ ١٩٢ ، ١٩٣

المبحث الخامس

موقف الدارمي من النصوص الموهمة للنقص والتغير والتشبيه :

ورد في الكتاب والسنة كثير من النصوص التي يوهم ظاهرها نسبة الحركة والانتقال إليه تعالى ، وكذلك ما يضيف ألفاظ الحب والرضا والغضب والسخط إليه سبحانه ، وكذلك وردت نسبة بعض الألفاظ الأخرى كالمكر والخداع والاستهزاء والسخرية وغيرها .

ومن أمثلة ذلك :

_ قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾(١) .

_ قوله تعالى : ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ (٢)

_ قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر " (٣)

_ قوله تعالى : ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾(٤)

_ قوله تعالى : ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ﴾(٥)

_ قوله تعالى : ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (٦)

_ قوله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾(٧)

---

١ – سورة البقرة : من الآية ١١٠

٢ – سورة الفجر : الآية ٢٢

٣ – فتح الباري : جـ ٣ ص ٢٩

٤ – سورة البقرة : من الآية ١٩٥

٥ – سورة التوبة : من الآية ٤٦

٦ – سورة آل عمران : الآية ٥٤

٧ – سورة النساء : من الآية ١٤٢

_ قوله تعالى : ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١)

وغير هذا من النصوص .

أما السلف رحمهم الله عز وجل فقد رجحوا كما هو ديدنهم جانب التفويض في هذه النصوص وغيرها .

يقول ابن قتيبة مثلا : " فإن قيل لنا كيف النزول منه جل وعز ؟ قلنا : لا نحتم على النزول منه بشيء ولكننا نبين كيف النزول منا وما تحتمله اللغة من هذا اللفظ ، والله تعالى أعلم بما أراد . والنزول منا يكون بمعنيين أحدهما : الانتقال من مكان إلى مكان كنزولك من الجبل إلى الحضيض ، ومن السطح إلى الدار . والمعنى الآخر : إقبالك على الشيء بالإرادة والنية ، وكذلك الهبوط والارتقاء والبلوغ والمصير وأشباه هذا من الكلام " (٢)

ويقول البغوي في تفسيره في قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ (٣) . والأولى في هذه الآية وفيما شاكلها أن يؤمن الإنسان بظاهرها . أو يكل علمها إلى الله تعالى . أو يعتقد أن الله عز اسمه منزه عن سمات الحدوث ، على ذلك مضت أئمة السلف وعلماء السنة . قال الكلبي : هذا من المكتوم الذي لا يفسر " (٤)

ويقول الإمام البيهقي : " فأما المتقدمون من أصحابنا فإنهم فهموا من هذه الأحاديث ما وقع الترغيب فيه من هذه الأعمال ، وما وقع الخبر عنه من فضل الله سبحانه ، ولم يشتغلوا بتفسير الضحك مع اعتقادهم أن الله ليس بذي جوارح

---

١ - سورة التوبة : من الآية ٧٩

٢ - تأويل مختلف الحديث : ابن قتيبة الطبعة الأولى طبعة مصر ١٣٢٦هـ ص ١٧٣

٣ - سورة البقرة : من الآية ١١٠

٤ - تفسير البغوي : جـ ١ ص ١٩٧

ومخارج وأنه لا يجوز وصفه بكشر الأسنان وفغر الفم تعالى الله عن شبه المخلوقين علوا كبيرا " (١)

وأما الخلف رضوان الله عليهم فقد اختاروا تأويل هذه الألفاظ بما يليق بجلال الله سبحانه وتعالى

يقول الشيخ الكوثري في تحقيقه للأسماء والصفات : " ومن الجهل بمكان عد العجب والضحك من صفات الله سبحانه على المعنى الذي يتخيله المشبهة . (٢)

ويقول ابن قتيبة : وإنما هما بمعنى أن الشيء حل عنده بمحل ما يعجب منه، وبمحل ما يضحك منه ،لأن الضاحك إنما يضحك لأمر معجب له ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأنصاري الذي ضافه ضيف وليس في طعامه فضل عن كفايته فأمر امرأته بإطفاء السراج ليأكل الضيف وهو لا يشعر أن المضيف له لا يأكل : لقد عجب الله من صنيعكما البارحة أي حل عنده محل ما يعجب الناس منه " (٣)

ويقول أبو بكر بن العربي في العواصم من القواصم : والأحاديث الصحيحة في هذا الباب _ يعني في باب الصفات _ على ثلاث مراتب : الأولى ما ورد من الألفاظ وهو كمال محض ليس للنقائص والآفات فيه حظ ، فهذا يجب اعتقاده .

الثانية ما ورد وهو نقص محض ، فهذا ليس لله فيه نصيب فلا يضاف إليه إلا وهو محجوب عنه في المعنى ضرورة ، كقوله : عبدي مرضت فلم تعدني ، وما أشبهه .

---

١ – الأسماء والصفات : البيهقي صـــ ٦٠٨

٢ – الأسماء والصفات : هامش صـــ ٦٠٢ ، ٦٠٣

٣ – تأويل مختلف الحديث في الرد على أعداء الحديث : ابن قتيبة الدينوري صـــ ٢٦٧ وانظر أيضا تأويله للنفس صـــ٢٦٧ ، ٢٦٨ وتأويله لحديث الحجر الأسود يمين الله في الأرض وغيره من أحاديث التشبيه كما يسميها صـــ ٢٧١ وما بعدها

الثالثة : ما يكون كمالا ولكنه يوهم تشبيها . فأما الذي ورد كمالا محضا كالوحدانية والعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والإحاطة والتقدير والتدبير ، وعدم المثل والنظير فلا كلام فيه ولا توقف.

وأما الذي ورد بالآفات المحضة والنقائص كقوله : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾(١) ، وقوله : جعت فلم تطعمني ، وعطشت . فقد عَلم المحفوظون والملفوظون والعالم والجاهل أن ذلك كناية عمن تتعلق به هذه النقائص ، ولكنه أضافها إلى نفسه الكريمة المقدسة تكرمة لوليه ، وتشريفا واستلطافا للقلوب وتليينا . وهذا أيها العاقلون تنبيه لكم على ما ورد من الألفاظ المحتملة ... فإذا جعلت الألفاظ المحتملة التي تكون للكمال بوجه وللنقصان بوجه ، وجب على كل مؤمن حصيف أن يجعلها كناية عن المعاني التي تجوز عليه ، وينفي ما لايجوز عليه . فقوله في اليد والساعد والكف والأصبع عبارات بديعة تدل على معان شريفة ، فإن الساعد عند العرب عليها كانت تعول في القوة والبطش والشدة ... فأضيف الساعد إلى الله لأن الأمر كله لله ... وكذلك قوله : إن الصدقة تقع في كف الرحمن عبر بها عن كف المسكين تكرمة له "(٢)

ويقول ابن قتيبة تعليقا على حديث الهرولة : " ونحن نقول : إن هذا تمثيل وتشبيه وإنما أراد من أتاني مسرعا بالطاعة أتيته بالثواب أسرع من إتيانه فكنى عن ذلك بالمشي والهرولة " (٣)

---

١ - سورة البقرة : من الآية ٢٤٥

٢ - العواصم من القواصم : ابن العربي _ تحقيق د/ عمار طالبي طبعة دار التراث بدون تاريخ صـــ ٢٢٨ ، ٢٢٩

٣ - تأويل مختلف الحديث : صـــ ٢٨٤

ويقول في قوله تعالى : ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ ﴾(١): "أي من الأساس وهذا مثل أي:أهلكهم كما أهلك من هدم مسكنه من أسفله فخر عليه"(٢)

ويقول الإمام البيهقي : " قوله " عجب الله " إطلاق العجب لا يجوز على الله سبحانه ولا يليق بصفاته ، وإنما معناه الرضا عند الله ، والقبول له ، ومضاعفة الثواب عليه " (٣)

وأما ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله ومن وافقهما فقد رأوا أن هذه صفات حقيقية لله تعالى لا كصفاتنا وإنما على ما يليق به سبحانه .

يقوا ابن تيمية مثلا : " إذا قدر اثنان أحدهما يحب نعوت الكمال ويفرح بها ويرضاها ، والآخر لا فرق عنده بين صفات الكمال وصفات النقص فلا يحب لا هذا ولا هذا ، ولا يرضى لا هذا ولا هذا ولا يفرح لا بهذا ولا بهذا كان الأول أكمل من الثاني ، ومعلوم أن الله تبارك وتعالى يحب المحسنين والمتقين والصابرين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهذه كلها صفات كمال"(٤)

ويقول في معرض رده على من أنكر صفة الغضب لأنها غليان دم القلب : " فغليان دم القلب يقارنه الغضب ليس أن مجرد الغضب هو غليان دم القلب كما أن الحياء يقارن حمرة الوجه ، والوجل يقارن صفرة الوجه لا أنه هو ... وأيضا فلو قدر أن هذا هو حقيقة غضبنا لم يلزم أن يكون غضب الله تعالى مثل غضبنا" (٥)

١ – سورة النحل : من الآية ٢٦

٢ – غريب القرآن : ابن قتيبة الدينوري ـ تحقيق : السيد محمد صقر طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م ص ٢٤٢

٣ – الأسماء والصفات : البيهقي ص ٦٠٤

٤ – مجموع الفتاوى :ابن تيمية جـ ٦ ص ٩٢

٥ – مجموع الفتاوى : ابن تيمية جـ ٦ ص ١١٩

بل إن ابن تيمية جوز إسناد التردد إلى الله وحاشاه فهو يقول : " وقد ردّ هذا الكلام طائفة وقالوا : إن الله لا يوصف بالتردد ، وإنما يتردد من لا يعلم عواقب الأمور والله عالم بالعواقب . وربما قال بعضهم : إن الله يعامل معاملة التردد والتحقيق أن كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم حق وليس أحد أعلم بالله من رسوله ولا أنصح لأمته ولا أفصح ولا أحسن بيانا منه فإذا كان كذلك كان المتحذلق والمنكر عليه من أضل الناس وأجهلهم وأسوأهم أدبا بل يجب تأديبه وتعزيره " ثم أخذ يبين معنى التردد فقال : " والرب يكره أن يسيء عبده ومحبوبه فلزم من هذا أن يكره الموت ليزداد من محاب محبوبه ، والله سبحانه وتعالى قد قضى بالموت فكل ما قضى به فهو يريده ولا بد منه فالرب مريد لموته لما سبق به قضاؤه وهو مع ذلك كاره لمساءة عبده وهي المساءة التي تحصل له بالموت فصار الموت مرادا للحق من وجه مكروها له من وجه . وهذا حقيقة التردد وهو أن يكون الشيء الواحد مرادا من وجه مكروها من وجه وإن كان لا بد من ترجيح أحد الجانبين كما ترجح إرادة الموت لكن مع وجود كراهة الرب لمساءة عبده " (١)

ويقول : " فبين سبحانه أنه يتردد لأن التردد تعارض إرادتين، وهو سبحانه يحب ما يحب عبده ويكره ما يكرهه، وهو يكره الموت فهو يكرهه، كما قال: "وأنا أكره مساءته"، وهو سبحانه قد قضى بالموت فهو يريد أن يموت. فسمى ذلك ترددًا، ثم بين أنه لابد من وقوع ذلك. وهذا اتفاق واتحاد في المحبوب المرضي المأمور به والمبغض المكروه المنهي عنه." (٢)

وأما موقف عثمان بن سعيد الدارمي من هذه النصوص فهو موقف عجيب حيث نراه قد جمع أغلب هذه الألفاظ ومواردها في الكتاب والسنة ورد على من تأولها .

١ - مجموع الفتاوى : ابن تيمية جـ ١٨ ص ١٣٠ ، ١٣١

٢ - مجموع الفتاوى : جـ ١٠ ص ٥٨ ، ٥٩

يقول : " ثم عارض المعارض أيضا أشياء من صفات الله التي هي مذكورة في كتاب الله ، ويترع تلك الآيات التي ذكرت فيها ليغالط الناس في تفسيرها ، فذكر منها : الحب والبغض ، والرضى ، والفرح ، والكره ، والعجب، والسخط ، والإرادة ، والمشيئة ليدخل عليها من الأغلوطات ما أدخل على غيرها مما حكيناه عنه " ([1]) .

كما عقد أبوابا لإثبات هذه الصفات كما يقول منها مثلا باب في إثبات صفة الضحك جمع فيه بعض الآثار وناقش من حاول تأويلها ومما جاء في كلامه " فالدليل من فعل الله أنه يضحك إلى قوم ويصرفه عن قوم ، وإن ضحك الزرع مثل على المجاز ، وضحك الله أصل وحقيقة للضحك . يضحك كما يشاء"([2])

ويثبت لله الحركة كما يقول :"لأن الحي القيوم يفعل ما يشاء ، ويتحرك إذا شاء ، ويترل ويرتفع إذا شاء ، ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء ، لأن أمارة ما بين الحي والميت التحرك " ([3])

ويقول : " أمارة ما بين الحي والميت التحرك ومالا يتحرك فهو ميت لا يوصف بحياة " ([4])

ويقول : " ففي كل ما ذكرنا تحقيق كلام الله وتثبيته نصا بلا تأويل ، ففيما عاب الله به العجل في عجزه عن القول والكلام بيان بين أن الله عز وجل غير عاجز عنه ، وأنه متكلم وقائل ، لأنه لم يكن يعيب العجل بشيء هو موجود به"([5])

---

١ – الرد على المريسي : الدارمي ص ١٩٩

٢ – الرد على المريسي : الدارمي ص ١٧٦

٣ – الرد على المريسي : الدارمي ص ٢٠

٤ – الرد على المريسي : الدارمي ص ٥٤

٥ – الرد على الجهمية : الدارمي ص ١٣٣

الخاتمة

رحم الله سلفنا الصالح أهل التفويض فقد أراحوا أنفسهم وأراحونا معهم من هذا العناء ، هذا العناء الذي قذف بالبعض في مهاوي الجدل والمراء لا طلبا للحق إينما ظهر وإنما تأييدا لمذهب تقلدوه ، وتفنيدا لآخر عارضوه فدفعهم هذا إلى كثير من المبالغات .

يقول الشيخ / رشيد رضا : " ولا ننكر أن الأثريين من الحنابلة وغيرهم قد وقع لبعضهم ما يكاد يكون نصًا في التجسيم ، أو جعل كل ما ورد في صفات الله وأفعاله صفات لا تفهم ، وإنما تؤخذ بالتسليم .... وقد قال ابن تيمية : إن خطأ المتكلمين في نفي الصفات أكثر ، وخطأ الأثريين في الإثبات أكثر "([1])

ويقول في موضع آخر : " ولولا عصبية المذاهب عند المقلدين ، والغرور بظواهر بعض الروايات عند الأثريين،لما اختلف أحد من الفريقين في هذه المسألة"([2])

ويقول : " ولولا تعصب المذهب لما كان هذا العالم الكبير والذكي النحرير يقول بمثل هذه الأقوال في هذه المسألة " ([3])

نعم . تعصب المذهب ، وزحمة التحدي وعنفوان الجدل هو الذي دفع الدارمي إلى القول بمثل ماقال رغم أنه يقول : " وقد كان من مضى من السلف يكرهون الخوض في هذا وما أشبهه ، وقد كانوا رزقوا العافية منها ، وابتلينا بها عند دروس الإسلام وذهاب العلماء ، فلم نجد بدا من أن نرد ما أتوا به من الباطل بالحق . وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف ما يشبه هذا على أمته

---

١ - تفسير المنار : محمد رشيد رضا _ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م جـ ٣ صـ ١٦٧

٢ - تفسير المنار : جـ ١ صـ ٧٧

٣ - تفسير المنار : جـ ٨ صـ ٥٢

ويحذرها إياه ، ثم الصحابة بعده والتابعون مخافة أن يتكلموا في الله وفي القرآن بأهوائهم فيضلوا ، ويتماروا به على جهل فيكفروا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " المراء في القرآن كفر " وحتى أن بعضهم كانوا يتقون تفسيره لأن القائل فيه إنما يقول على الله " [1]

ويقول ابن القيم ــ وهو من المتشددين في الإثبات ــ في نص مهم : " (إن الجهمية لما قالوا : إن الاستواء مجاز صرح أهل السنة بأنه مستو بذاته على عرشه" [2]

وهذا تأكيد منه على أن السلف رضوان الله عليهم ماكانوا يعينون الذات وإنما أمروا الآيات كما جاءت ، فهم كما سبق النقل عن الشيخ / الدجوي يفوضون بعد التتريه فيقولون : إنما نتزهه تعالى عن الجارحة ولا نعين شيئا خاصا من المعاني التتريهية .

ولكن جاء الدارمي وغيره فاسترسلوا وبالغوا في الإثبات ، وكان مثل أصحاب الجدل يجمعون بين الغث والسمين ، وبين الضدين والنقيضين .وما سبب وقوعه في هذا إلا توجهه في الرد على المخالفين له في مذهبه ، ومتى وجه الإنسان همّه إلى شيء يكون له منه حجاب ما عن غيره ، وتقرير الحقيقة لذاتها غير الرد على من يعدون من خصومها(مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ)[3] وهذه آفة من آفات عصبية المذاهب لا تنفك عنها.

واختم كلامي هذا النص الطويل والجميل للإمام ابن الجوزي يقول : " عجبت من أقوام يدعون العلم ، ويميلون إلى التشبيه بحملهم الأحاديث على

---

١ – الرد على الجهمية : الدارمي صـ ١٨ ، ١٩

٢ – مختصر الصواعق المرسلة : محمد بن الموصلي صــــ ٣٢٤

٣ – سورة الأحزاب : من الآية ٤

ظاهرها ، فلو أنهم أمرّوها كما جاءت سلموا ، لأن من أمر ماجاء من غير اعتراض ولا معرض ، فما قال شيئا لا له ولا عليه ، ولكن أقواما قصرت علومهم ، فرأوا أن حمل الكلام على غير ظاهره نوع تعطيل، ولو فهموا سعة اللغة لم يظنوا هذا ، وما هم إلا بمثابة قول الحجاج لكاتبه ، وقد مدحته ليلى الأخيلية :

إذا نزل الحجاج أرضا مريضة   تتبع أقصى دائها فشفاهــا

شفاها من الداء العضال الذي   بها غلام إذا هز القناة سقاها

فلما أتمت القصيدة ، قال الحجاج لكاتبه : اقطع لسانها ، فجاء ذلك الكاتب المغفل بالموسى ، فقالت له : ويلك ، إنما قال : " أجزل لها العطاء " ، ثم ذهبت إلى الحجاج فقالت: كاد والله يقطع مقولي .

فكذلك الظاهرية الذين لم يسلموا بالتسليم ، فإنه من قرأ الآيات والأحاديث ولم يزد لم يلم ، وهذه طريقة السلف ، فأما من قال : الحديث يقتضي كذا ، ويحمل على كذا ، مثل أن يقول : استوى على العرش بذاته ، ويترل إلى السماء الدنيا بذاته ، فهذه زيادة فهمها قائلها من الحس لا من النقل .

ولقد عجبت لرجل أندلسي يقال له ابن عبد البر ، صنف كتاب التمهيد ، فذكر فيه حديث الترول إلى السماء الدنيا فقال : هذا يدل على أن الله تعالى على العرش لأنه لولا ذلك لما كان لقوله يترل معنى .

وهذا كلام جاهل بمعرفة الله عز وجل . لأن هذا استسلف من حسه ما يعرفه من نزول الأجسام فقاس صفة الحق عليه .

فأين هؤلاء واتبع الأثر ؟

ولقد تكلموا بأقبح ما يتكلم به المتأولون ، ثم عابوا المتكلمين .

واعلم أيها الطالب للرشاد أنه أنه قد سبق إلينا من العقل والنقل أصلان راسخان ، عليهما مر الأحاديث كلها :

أما النقل ، فقوله سبحانه : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)([١]) ومن فهم هذا لم يحمل وصفا له تعالى على ما يوجبه الحس .

وأما العقل فقد علم مباينة الصانع للمصنوعات ، واستدل على حدوثها بتغيرها ، ودخول الانفعال عليها ، واعجبا كل العجب من راد لم يفهم طبيعة الكلام .

أليس في الحديث الصحيح " أن الموت يذبح بين الجنة والنار ؟ " أو ليس العقل إذا استفتي في هذا صرف الأمر عن حقيقته ، لما ثبت عنده من فهم ماهية الموت ؟

فقال : الموت عرض يوجب بطلان الحياة ، فكيف يموت الموت أو يذبح ؟

فإذا قيل له : فما تصنع في الحديث ؟

قال : هذا ضرب مثل بإقامة صورة ليعلم بتلك الصورة الحسية موت ذلك المعنى .....

ثم قال : واعجبا لكم ! صرفتم عن الموت والكلام مالا يليق بهما ، حفظا لما علمتم من حقائقهما ، فكيف لم تصرفوا عن الإله القديم ما يوجب التشبيه له بخلقه مما قد دل الدليل على تنزيهه سبحانه " ([٢])

---

١ – سورة الشورى : من الآية ١١

٢ – صيد الخاطر : ابن الجوزي _ تحقيق : عبد القادر أحمد عطا طبعة دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م صـــ ٨٤ ، ٨٥ وانظر أيضا صـــ ١١٦ _ ١٢٣ ، وأيضا صـــ ٤٨٥

أهم مراجع البحث

– ابن القيم وموقفه من التفكير الإسلامي : د/ عوض الله جاد حجازي _ مطبوعات مجمع البحوث الإسلامية ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م

– ابن تيمية _ حياته وعصره آراؤه وفقهه: الشيخ / محمد أبو زهرة _ طبعة دار الفكر العربي بدون تاريخ .

– اجتماع الجيوش الإسلامية : ابن القيم حققه : بشير محمد عون طبعة مكتبة دار البيان الثالثة ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

– اقتناص العوالي من اقتصاد الغزالي : د/ محمد ربيع محمد جوهري الطبعة الثانية ١٤١٩هـ ١٩٩٩م

– الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد : الجويني _تحقيق : د/ محمد يوسف موسى ، و / علي عبد المنعم عبد الحميد طبعة مكتبة الخانجي ١٣٦٩هـ ١٩٥٠م

– الأعلام : الزركلي _ طبعة دار العلم للملايين الخامسة عشر ٢٠٠٢م .

– الأنساب : السمعاني _تقديم وتعليق : عبد الله عمر البارودي طبعة دار الجنان الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

– البراهين الساطعة في رد بعض البدع الشائعة : الشيخ سلامة العزامي _ طبع مطبعة السعادة مصر .

– التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين :أبو المظفر الإسفراييني _ تحقيق / كمال يوسف الحوت طبعة عالم الكتب الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

– التعريفات : الجرجاني _ طبعة مكتبة لبنان ١٩٨٥م

التمهيد : أبوبكر محمد بن الطيب الباقلاني _ تحقيق الأب رتشرد يوسف مكارثي طبعة المكتبة الشرقية بيروت ١٩٥٧م

– التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل : عبد الرحمن بن يحي المعلمي تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني _ طبعة المكتب الإسلامي الثانية ١٤٠٦ هـ _ ١٩٨٦م

– التوحيد.وإثبات صفات الرب : ابن خزيمة _ دراسة وتحقيق : د/ عبد العزيز إبراهيم الشهوان طبعة دار الرشد الرياض .

– إلجام العوام عن علم الكلام : الإمام الغزالي _ طبعة الهند

– الخطط : المقريزي : تحقيق : محمد زينهم ، و مديحة الشرقاوي طبعة مكتبة مدبولي ١٩٨٨م

– الرد على المريسي : الدارمي _ تحقيق : محمد حامد الفقي _ طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

– الصفات الخبرية عند أهل السنة والجماعة : محمد عياش الكبيسي طبعة المكتب المصري الحديث الأولى

– العقيدة النظامية : الجويني _ تحقيق : محمد زاهد الكوثري طبعة المكتبة الأزهرية للتراث ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

– العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها : شمس الدين الذهبي _ طبعة مكتبة أضواء السلف الأولى ١٤١٦هـ ١٩٩٥م

– العواصم من القواصم : ابن العربي _ تحقيق د/عمار طالبي طبعة دار التراث بدون تاريخ .

– الشامل في أصول الدين : الجويني _ حققه وقدم له : د/ على سامي النشار،ود/ فيصل بدير عون ، ود/ سهير محمد مختار طبعة منشأة المعارف ١٩٦٩م

– القول السديد في علم التوحيد : الشيخ / محمود أبو دقيقة _ تحقيق : د/ عوض الله جاد حجازي الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ١٩٩٥م طبعة مجمع البحوث الإسلامية

– الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية _نونية ابن القيم : تحقيق مجموعة من العلماء طبعة مجمع الفقه الإسلامي

– المختار من كنوز السنة : د/ محمد عبد الله دراز _ عنى بنشره:عبد الله بن إبراهيم الأنصاري طبعة قطر.

المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام : د/ محمد عبد الستار نصار _ الجزء الثاني طبعة دار الفاروق ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م

–المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات : محمد بن عبد الرحمن المغراوي طبعة مؤسس الرسالة الأولى ١٤٢٠ هـ ٢٠٠٠م

– الملل والنحل : الشهرستاني _ تحقيق : محمد فريد طبعة المكتبة التوفيقية بدون تاريخ

– المواقف : الإيجي _ طبعة مكتبة المتنبي القاهرة بدون تاريخ

–تأويل مختلف الحديث في الرد على أعداء الحديث : ابن قتيبة الدينوري الطبعة الأولة طبعة مصر ١٣٢٦هـ

–تفسير المنار : محمد رشيد رضا _ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠م

– جامع الرسائل : ابن تيمية _ تحقيق : د. محمد رشاد سالم طبعة دار العطاء – الرياض الطبعة : الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م

–درء تعارض العقل والنقل : ابن تيمية تحقيق د/ محمد رشاد سالم الطبعة الثانية طبعة جامعة الإمام _ السعودية ١٤١١هـ ١٩٩١م

– دفع شبه التشبيه بأكف التتريه : عبد الرحمن بن علي الجوزي _ تحقيق : محمد زاهد الكوثري ضمن كتاب الأعمال الكاملة _ العقيدة وعلم الكلام _ طبعة دار الكتب العلمية الأولى ٢٠٠٤هـ ١٤٢٥م

– سير أعلام النبلاء : الإمام الذهبي _ تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، وعلي أبو زيد طبعة مؤسسة الرسالة الأولى ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م

– شرح جوهرة التوحيد : البيجوري _ تحقيق : محمد أديب الكيلاني ، وعبد الكريم تتان طبعة مكتبة الغزالي _سوريا ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م

–شرح جوهرة التوحيد : البيجوري _ ضبطه وصححه محمد علي الخليلي _ طبعة دار الكتب العلمية بيروت _ الثانية ١٤٢٤هـ ٢٠٠٤م

– شرح عقيدة الإمام الغزالي _ الشيخ / أحمد زروق _ تحقيق: د/ محمد عبد القادر نصار طبعة دارة الكرز الأولى ١٤٢٨هـ _ ٢٠٠٧م

– شرح صحيح مسلم : النووي _ طبعة المطبعة المصرية بالأزهر الطبعة الأولى ١٣٤٧هـ _ ١٩٢٩م

– صفات الله عز وجل الواردة في الكتاب والسنة : علوي بن عبد القادر السقاف _ طبعة دار الهجرة الثالثة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٦م .

– صيد الخاطر : ابن الجوزي _ تحقيق : عبد القادر أحمد عطا طبعة دار الكتب العلمية بيروت الأولى ١٤١٢هـ ١٩٩٢م

–عقيدتنا : د/ محمد ربيع محمد جوهري _ الطبعة العاشرة ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.

–غريب القرآن : ابن قتيبة الدينوري _ تحقيق : السيد محمد صقر طبعة دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ ١٩٧٨م

–فرقان القرآن بين صفات الخالق وصفات الأكوان : الشيخ سلامة العزامي _ طبع مطبعة السعادة مصر بدون تاريخ .

– كشاف اصطلاحات الفنون : التهانوي _ تقديم د/ رفيق العجم _ تحقيق :د/ على دحروج طبعة مكتبة لبنان ناشرون الأولى ١٩٩٦م

– مجموعة فتاوى ابن تيمية : دراسة وتحقيق / عبد الرحمن بن محمد بن قاسم طبعة مجمع الملك فهد ١٤١٦هـ ١٩٩٥م

– مجموع فتاوى ورسائل العثيمين : محمد بن صالح العثيمين _ جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان طبعة دار الوطن ودار الثريا ١٤١٣هـ

– مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم : اختصره : محمد بن الموصلي _ تحقيق : حسن بن عبد الرحمن العلوي طبعة مكتبة أضواء السلف الأولى ١٤٢٥ هـ

– مختصر العلو للعلي الغفار : الألباني _ طبعة المكتب الإسلامي الأولى ١٤٠١هـ ١٩٨١م

– مسند الدارمي المعروف بسنن الدارمي _ تحقيق حسين سالم أسد الداراني _ الطبعة الأولى دار المغني _ الرياض ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م

– مقالات وفتاوى الشيخ يوسف الدجوي : طبعة مجمع البحوث الإسلامية ١٤٠١هـ ١٩٨١م

– مقدمة ابن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون طبعة المطبعة الشرفية مصر بدون تاريخ

فهرس الموضوعات